

# كِتَابُ الزُّهْدِ

لِأَبِي بَكْرٍ يُمِّنُ بْنُ رِزْقِ التُّطَيْلِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ  
(ت ق ٣ هـ / ٢٧٠ هـ)

تَقْدِيمٌ وَتَحْقِيقٌ  
د. أنيس سالم د. عَبْدُ الْغَنِيِّ اذْعِيكَل

قال الفقيه يحيى بن عمر  
الكناني الأندلسي (ت ٢٨٩ هـ):  
«لم يكن مع يُمِّنُ بْنُ رِزْقٍ إِلَّا مُصْحَفٌ،  
وهذا الكتاب؛ يعني كتاب الزُّهْدِ لِيُمِّنُ».  
تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (١٩٨/٢)

## الموزع الرئيسي

مؤسسة الضيافة  
للطباعة والنشر والتوزيع

لبنان - بيروت - الطريف - بناية عيدو

تلفون: ٠٠٩٦١ ١٧٥٠٩٥٢ - جوال: ٠٠٩٦١ ٣٩٤٣٤٦١

البريد الإلكتروني: chahrour.mohd2@gmail.com

## الموزعون المعتمدون

المملكة العربية السعودية دار النصيحة / المدينة المنورة هاتف: ٠٠٩٦٦٥٣٤٤٩٩٨٠١	المملكة العربية السعودية المكتبة الأسدية / مكة المكرمة هاتف: ٠٠٩٦٦٥٣٧٩٣٣٩٤٦
دولة الكويت دار إقرأ / الكويت هاتف: ٠٠٩٦٥٢٢٦٥٥٣٤٠	جمهورية مصر العربية دار السلام / القاهرة هاتف: ٠٠٢٠١٠١٩٧٢٦٢٦
المملكة الأردنية الهاشمية مكتبة مسك / عمان هاتف: ٠٠٩٦٢٧٩٦٠٥٤٨٠٠	الجمهورية العراقية مكتبة أمير / كركوك هاتف: ٠٠٩٦٤٧٧٠٢٣٠٤٠٢٥
الجمهورية التركية مكتبة الإرشاد / اسطنبول هاتف: ٠٠٩٠٥٣٢٤٥٢٠١٠٤	المملكة المتحدة مكتبة إسماعيل هاتف: ٠٠٤٤٧٤٧٩٩١٦٠٠٤
جمهورية جنوب إفريقيا مكتبة الإمام الطحاوي هاتف: ٠٠٢٧٨٢٧٨٦٣٩٣١	جمهورية داغستان مكتبة ضياء الإسلام هاتف: ٠٠٧٩٨٨٧٧٣٠٣٠٦

جميع منشوراتنا متوفرة على

موقع noon

[www.noonpublishers.com](http://www.noonpublishers.com)

موقع النيل والفرات

[www.neelwafurat.com](http://www.neelwafurat.com)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ

قال الشيخ الإمام العالم العامل العارف الزاهد العابد المجتهد، شيخ عصره وإمام وقته، أبو<sup>(١)</sup> بكر يمين بن رزق الأندلسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ورضي [عنا برضاه]<sup>(٢)</sup>:

\*\*\*

### ذِكْرُ الْأَشْيَاءِ الَّتِي مِنْهَا تَتَفَرَّعُ فُنُونُ الْخَيْرِ.

قال: حدثنا يحيى بن عمر بن يوسف، قال: حدثنا يمين بن رزق قراءة مني عليه، قال<sup>(٣)</sup>: سأل سائل حكيماً، فقال: أخبرني بأصل الأشياء التي منها تتفرع فنون الخير، وتجري به المنافع، وتصح عليه الأعمال، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم؟

فقال له الحكيم: اعلم أن أصل الأشياء التي منها تتفرع فنون الخير، وتجري به المنافع، وتصح عليه الأعمال بعد اليقين بالله<sup>(٤)</sup>: معرفة النعم، والعمل في أداء الشكر، وأن يصح عندك أن جميع / أ / الخير مواهب من الله، وتعلم أن جميع المعاصي كلها عقوبة من الله، وإنما هي من طريق الخذلان، وذلك من علامة السخط.

فإذا اعترفت بذلك؛ كثرت حسناتك، وقلت سيئاتك؛ لأنك إذا علمت أن الإحسان نعم وموآب من الله ازددت في الشكر، واستقللت كثير شكرك عند

(١) في (أ): «أبي». (٢) في (أ) كلمتان لم نبيينهما لعلهما ما أثبتناه.

(٣) «ذكر الأشياء التي منها تتفرع فنون الخير... عليه، قال» ساقط من (أ)، و«قال الشيخ الإمام... ورضي عنا برضاه» ساقط من (و).

(٤) «بالله» ساقط من (أ).

أصغر نعمة عندك؛ لأن الجبار العظيم منّ عليك بها، وساقها إليك، فقلّ عندك كثير الشكر، وكبر عليك صغير النعم، فجريت حينئذ<sup>(١)</sup> في ميدان الزيادة من عمل الخير، وعلمت معرفة الرضا، وطمعت في العفو.

وإذا علمت أن الإساءة التي اكتسبتها خذلان من الله، وإنما هي من طريق<sup>(٢)</sup> السخط، فإذا علمت ذلك فرغت إلى التضرع، فنزلت بساحته، وإلى الاستكانة فصحبته، وإلى التواضع فاتخذته خذناً<sup>(٣)</sup>.

فإذا كان ذلك كذلك، لجأت إلى التوبة فاستجرت بها، ولبست جلباب الحياء مما سلف منك، وشهد الله عليك به، وشاهدته منك من الإساءة، مع ما تعرف من كثرة إحسانه إليك<sup>(٤)</sup>، فلم تتعرض بعد ذلك لشيء مما يكره<sup>(٥)</sup>، وعمدت إلى المعاصي فبعادتها منك / ١٢ / ومن غيرك، فأنت تكره أن يعصيه أحد من خلقه كلهم بصغيرة ولا كبيرة.

فراجعت الإحسان مجتهداً، وأنت<sup>(٦)</sup> مع ذلك عارفٌ بالنعمة عليك في التنبيه<sup>(٧)</sup> والمراجعة، وإن ذلك<sup>(٨)</sup> تفضل منه عليك، فالتمست لطيف الشكر بعد انقلاعه عن<sup>(٩)</sup> الإساءة بشدة المضادة<sup>(١٠)</sup> لها، فعظم شكرك عند التحويل

(١) في (أ): «يومئذ».

(٢) في (أ): «طرق».

(٣) قال ابن فارس: «الخاء والذال والنون أصل واحد، وهو المصاحبة، فالخذن: صاحب».

مقاييس اللغة (٢/ ١٦٣)، مادة: «خذن».

(٤) «إليك» ساقط من (أ).

(٥) في (و): «يكرهه».

(٦) «فراجعت الإحسان مجتهداً وأنت» بياض في (و).

(٧) في (أ): «التنسية»، وصُححت في الهامش.

(٨) «في التنبيه والمراجعة، وإن ذلك» بياض في (و).

(٩) «انقلاعه عن» بياض في (و).

(١٠) في (و): «المضارة».



إلى الإحسان بعد الإساءة، فإذاك قد سرت<sup>(١)</sup> في جميع أحوالك شاكراً زائداً، ولم يُعجزك<sup>(٢)</sup> معرفة الإحسان، فشكرت حينئذ الشكور<sup>(٣)</sup> المَشْكُور الذي وعد على الشكر الزيادة، ووَعَدُه لا يُخلف<sup>(٤)</sup>.

وعرَفَت الإساءة من أين كان مخرجُها، فراجعت الإحسان بالعتاب<sup>(٥)</sup> منك لها، ولمن زَيْنَها ودَعَاك إليها، فهذا الأصل الذي يتفرَّع منه فنونُ الخير، وبه تعلَّق جميع<sup>(٦)</sup> أبواب الشرِّ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



(١) في (أ): «صرت».

(٢) في (أ): «تُعجزك».

(٣) في (أ): «الشكر».

(٤) قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾

[إبراهيم: ٧].

(٦) «جميع» ساقط من (أ).

(٥) في (و): «بالعناد».

### باب في اليقين والفتنة<sup>(١)</sup>

وأما ما سألت عنه من تفسير هذه الأشياء:

أما تفسير<sup>(٢)</sup> متى يكون العبد مفتوناً وهو مُريد وهو لا يعلم؟ / ٢ب /

فإنه إذا كان عمياً عن عُيوب نفسه، مُتَشَاغِلاً بعيوب غيره، كان مفتوناً وهو مُريد به وهو<sup>(٣)</sup> لا يعلم.

وقلت: متى يكون مفتوناً مُصِراً وهو يعلم؟

فإنه إذا عَرَفَ عيوب نفسه، وهو مُقِيمٌ<sup>(٤)</sup> عليها، كان مفتوناً مُصِراً وهو يعلم.

وقلت: متى يكون مفتوناً تائباً وهو يعلم؟

فإنه<sup>(٥)</sup> حين عَرَفَ عُيوب نفسه، ولم يَرْضَ بها، وبَادَرَ إلى تركها والانقلاع عنها، ونَفْسُهُ تُنَازِعُهُ إليها، وهو يُماريها فيغلبها مرةً وتغلبه أخرى، فهو مفتون تائب وهو يَعْلَمُ.



(١) في (و): «باب في تفسير باطن الأعمال».

(٢) في (و): «تفسيرها».

(٣) «به وهو» ساقط من (أ).

(٤) في (أ): «مقيماً بالنصب».

(٥) «فإنه» ساقط من (و).

### باب في الإحسان<sup>(١)</sup>

وقلت: متى يكون العبد<sup>(٢)</sup> مُحْسِنًا وهو لا يعلم؟

فإنه إذا اشْتَدَّ خوفه مما قَدَّمَ مِنَ الإِسَاءَةِ، حتى يَظُنَّ<sup>(٣)</sup> أنه لا يُقْبَلُ منه مع تلك الإِسَاءَةِ إِحْسَانٌ<sup>(٤)</sup>، وخاف على حَسَنَاتِهِ أن تكون له<sup>(٥)</sup> إِسَاءَةٌ، فحينئذ يكون مُحْسِنًا وهو لا يعلم؛ لِشِدَّةِ غَلَبَةِ الخوفِ عليه.

وقلت: متى يكون زائدًا وهو يعلم؟

فإنه إذا كان لا يَعْرِفُ عيوبَ نفسه، فَعَرَّفَ بها، وَعَرَفَهَا، فانتقل عنها: كان زائدًا وهو يَعْلَمُ<sup>(٦)</sup>.



(١) «باب في الإحسان» ساقط من (و).

(٢) «العبد» ساقط من (و).

(٣) في (أ): «وِظَنَ».

(٥) «له» ساقط من (أ).

(٤) في (أ): «إِحْسَانًا» بالنصب.

(٦) «وقلت متى يكون زائدًا... هو يعلم» ساقط من (أ).

## باب في الاستدراج ١٢٧

وقلت: متى يكون مُستدرَجًا وهو يعلم؟

فإن ذلك مُحَال؛ لأن المستدرَج<sup>(١)</sup> مُزَيَّن له ما هو فيه، لا يَعْرِف من أين استُدْرَج، فإذا عُرِّف فعَرَف، فقد أُريدَ به خَيْرٌ؛ لأنه أبصر<sup>(٢)</sup> عيبا كان عنده حسنا، فلما عُرِّف ذلك وعَرَفه، فَرَجَعَ<sup>(٣)</sup> وَخَضَعَ وَضَرَعَ، قُبِلَ منه إن شاء الله، واستُنْقِذَ<sup>(٤)</sup> من طريق الاستدراج، وهذا هو العابدُ الْمُضَيِّعُ لِلشُّكْرِ.

والاستدراج اسمٌ لِمَعْنِيَيْنِ<sup>(٥)</sup>:

فأحد المعنيين: استدراج عقوبةٍ لِلسَّيِّئَةِ<sup>(٦)</sup> تنبيهٌ على الإنابة.

والمعنى الثاني: استدراج<sup>(٧)</sup> لا إنابة فيه ولا رُجوعاً، فنعوذ بالله من الاستدراج. وإنما يُستدْرَجُ العبدُ<sup>(٨)</sup> على قَدَرِ بُغْيَتِهِ؛ فمنهم مَنْ يُستدْرَجُ بِالْمُلْكِ والسُّلْطَانِ وطاعةِ الناسِ له.

ومنهم مَنْ يُستدْرَجُ بالدُّنُو من المُلُوكِ والسُّلَاطِينِ والحُظُوةِ عندهم.

ومنهم مَنْ يُستدْرَجُ بالتَّوَسُّعِ في تجارته.

ومنهم مَنْ يُستدْرَجُ بالأَهْلِ والوَلَدِ والغَاشِيَةِ والشَّعْبِ<sup>(٩)</sup> وَوَطْءِ الْأَعْقَابِ.

ومنهم مَنْ يُستدْرَجُ بِعِلْمِهِ أَنْ يُكْرَمَ بِسَبَبِهِ، وَيُحَمَّدُ / ٣ب / وَيُعْظَمُ وَيُسْمَعُ

(١) في (و): «الاستدراج».

(٢) في (و): «بصر».

(٣) في (أ): «فراجع».

(٤) في (و): «استنقض».

(٥) قال الطبري: «وأصل الاستدراج: اغترارُ المستدرَجِ بلطفٍ مَنْ استدرجه، حيث يرى المستدرَجُ

أن المستدرَجَ إليه مُحْسَنٌ، حتى يورُطه مكرهاً». جامع البيان في تأويل القرآن (١٣ / ٢٧٢).

(٦) في (و): «السيد».

(٧) في (و): «الاستدراج».

(٨) «العبد» ساقط من (و).

(٩) في (أ): «والتبع».

قَوْلُهُ، فَهُوَ مُسْتَدْرَجٌ نَائِلٌ حَظَّهُ مِنْ عِلْمِهِ.

وَمِنْهُمْ الْعَابِدُ يُسْتَدْرَجُ مِنْ طَرِيقِ الْعُجْبِ فِي عَمَلِهِ وَالْقُوَّةِ عَلَى ذَلِكَ فِي بَدَنِهِ.

وَمِنْهُمْ ذُو الْبَصِيرَةِ يُسْتَدْرَجُ فِي الزِّيَادَةِ فِي بَصِيرَتِهِ.

فَجَمِيعٌ مِنْ<sup>(١)</sup> ذَكَرْنَا مِنَ الْمُسْتَدْرَجِينَ كُلَّهُمْ<sup>(٢)</sup> لَا يَخْلُو مِنَ الرِّيَاءِ وَالْعُجْبِ.

وَكُلُّ مُزَيَّنٍ لَهُ مَا هُوَ فِيهِ، لَا يَرَى إِلَّا أَنَّهُ عَلَى الطَّرِيقِ، مَقْبُولٌ مِنْهُ إِحْسَانُهُ، وَقَدْ عَمِيَ عَنْ فِتْنَةٍ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْاسْتِدْرَاجِ<sup>(٣)</sup>.

وَمِنْهُمْ مَنْ يُنَبِّهَ فِتْنَتَهُ، فَيُرَاجِعُ الْإِنَابَةَ وَيَفْزَعُ إِلَى الْاسْتِكَانَةِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يُهْمَلُ فِيَهْمِلُ نَفْسَهُ إِلَى حُضُورِ أَجَلِهِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿وَلَا تَعْمَدَنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٣١].

فَهَذِهِ فِتْنَةُ الْاسْتِدْرَاجِ، فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ، وَالْمُسْتَدْرَجُ مَفْتُونٌ، لَا<sup>(٤)</sup> يَعْلَمُ بِفِتْنَتِهِ، مُزَيَّنٌ لَهُ عَمَلُهُ، مُسْتَحْسَنٌ مَا هُوَ فِيهِ، طَالِبٌ لِلزِّيَادَةِ مِمَّا هُوَ عَلَيْهِ مُقِيمٌ، فَاحْذَرِ فِتْنَةَ ٤٤ / أ / الْاسْتِدْرَاجِ<sup>(٥)</sup>.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْاسْتِدْرَاجَ عَقُوبَةٌ لِلْمُضَيِّعِينَ شُكْرَ النِّعَمِ<sup>(٦)</sup>.



(١) فِي (و): «مَا».

(٢) فِي (أ): «كُلُّهُمْ».

(٣) أَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ الْكَبِيرِ (رَقْم: ٣٥٢) عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْغَضَائِرِيِّ أَنَّ السَّرِّيَّ قَالَ: «مِنْ عَلَامَةِ الْاسْتِدْرَاجِ الْعَمَى عَنْ عِيُوبِ النَّفْسِ».

(٤) فِي (أ): «فَلَا».

(٥) قَالَ تَعَالَى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢]، وَقَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نَمَدَهُمْ بِالنِّعَمِ، وَنَسِيَهُمُ الشُّكْرَ عَلَيْهَا، فَإِذَا رَكَنُوا إِلَى النِّعْمَةِ وَحَجَبُوا عَنْ الْمُنْعَمِ: أَخَذُوا. الْبَحْرُ الْمَدِيدُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ لِابْنِ عَجِيْبَةَ (٢/ ٢٨٧).

(٦) يُنْظَرُ الْمَدْخَلُ لِابْنِ الْحَاجِّ (٢/ ٦٩).

### باب في اليقين<sup>(١)</sup>

وقلت: متى يكون الرجل غير موقن وهو لا يعلم؟

فإنه إذا كان ظاهره<sup>(٢)</sup> أعمال الموقنين، وباطنه أعمال أهل الشك فهو يعمل في الظاهر أعمال الموقنين<sup>(٣)</sup>، وباطنه مُشتمل على تكذيب ظاهره، وهو لا يعلم أنه كذلك: فهو حينئذ غير موقن، وهو لا يشك أنه موقن، وذلك أن أعمال باطنه أولى به من ظاهره، وهذا من قول الحسن<sup>(٤)</sup>: «ابن آدم إن لك<sup>(٥)</sup> سريرةً وعَلَانِيَةً، فسريرتك أولى بك من علانيتك»<sup>(٦)</sup>.

و<sup>(٨)</sup> قلت: متى يكون غير موقن وهو يعلم؟

قال: إذا عَرَفَ فُتُونَ اليقين وأشكاله، وأعمال أهل الشك وأشكاله، فرأى أن باطنه مُشتمل على أعمال أهل الشك، ألزَمَ نفسه أنها غير موقنة، ولم يلتفت إلى ظاهر أعمالها<sup>(٩)</sup>، وتَصَدَّقَ ذلك قول الحسن: «لقد وَارَتْ الأرضُ أقوامًا لو رأوكم لقالوا: ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب»<sup>(١٠)</sup>، وفاسق زمان الحسن

(١) «في» ساقط من (و). (٢) في (أ): «فيه ظاهر».

(٣) «وباطنه أعمال أهل الشك فهو يعمل في الظاهر أعمال الموقنين» ساقط من (و).

(٤) أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري (ت: ١١٠ هـ). سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٦٣)، تاريخ الإسلام (٣/ ٢٥).

(٥) في (و): «لابن». (٦) «لك» ساقط من (أ).

(٧) أخرجه عن الحسن بلفظ قريب منه ابن المبارك في الزهد والرقائق (رقم: ٧٧)، وابن أبي الدنيا في الصمت (رقم: ٦٢٦)، وأحمد في الزهد (رقم: ١٦١٩) بلفظ: «يا ابن آدم إن لك قولاً وعملاً وسراً وعَلَانِيَةً، وعملك أولى بك من قولك، وسرك أولى بك من علانيتك».

(٨) «و» ساقط من (أ). (٩) في (أ): «أعماله».

(١٠) ورد هذا القول منسوباً للحسن البصري بلفظ قريب منه في قوت القلوب (١/ ٤٢٤)، وحلية الأولياء لأبي نعيم (٢/ ١٣٤)، وإحياء علوم الدين للغزالي (٤/ ٢٤١).

الذي نَسَبَهُ<sup>(١)</sup> إلى هذا أَثْبَتُ يَقِينًا مِنْ كَثِيرٍ مِنْ قُرَاءِ زَمَانِكَ الْيَوْمِ، إِلَّا مِنْ عَصَمِ  
/ ٤ ب / الله.

وقلت: متى يكونُ مُوقِنًا وهو لا يعلم؟

فإنه إذا عَرَفَ أعمال أضداد اليقين فَفَرَّ<sup>(٢)</sup> منها، وعرف باطن أعمال اليقين  
فسكَّن إليها، وهو مُسْتَوْحِشٌ مِنْ جَمِيعِ مَا يَعْمَلُهُ لِمَا دَاخَلَهُ<sup>(٣)</sup> مِنْ رُعبٍ مِنْ<sup>(٤)</sup>  
أعمال أهل الشك: أَلِفَهُ<sup>(٥)</sup> اليقين، فصار له خِذْنًا، وهو مشغول بما قَدْ رَاَعَهُ مِنْ  
أن يكون مُقيماً على بعض أعمال<sup>(٦)</sup> أهل الشكِّ وَمَنْ ضَادَّ اليقين عمله، فإذا  
كان كذلك لم يَعُدْهُ أَنْ يَنْبَتَ<sup>(٧)</sup> اليقينُ في قلبه وهو لا يعلم ذلك<sup>(٨)</sup>.

وقلت: متى يكونُ مُوقِنًا وهو يعلم؟

فإنه إذا عرف باطن أعمال أهل اليقين وظاهرها، فاشتمل عليه<sup>(٩)</sup> ظاهراً  
وباطناً، فبلغت معرفته حقائق ذلك، كان حينئذ مُوقِنًا وهو يعلم، فإن أَتَتْ عليه  
تارة فتر فيها، أو زَلَّ، أو حَادَّ عن الطريق: رَاجَعَ مِنْ قَرِيبٍ، فبادر طريق اليقين،  
فركبه بالتوبة والندم.

واعلم أن للمُوقِنَ علامةً مُوقِنَةً<sup>(١٠)</sup> واضحةً، فتعرفها من نَفْسِكَ ومن غيرك:  
أن المُوقِنَ تَعْظُمُ عنده ذنوبُ الخطأ والزَّلَلِ، وإن كان غير مأخوذ بها<sup>(١١)</sup> لغفلته  
عنها، وركونه إليها بالشَّهوات، وهجوم / ٥ / إبليس على قلبه، وطمع نفسه فيما

(١) في (أ): «ينسبه».

(٢) في (أ): «فنفّر».

(٣) في (أ): «دخله».

(٤) «من» ساقط من (أ).

(٥) في (أ): «ألف».

(٦) «أعمال» ساقط من (و).

(٧) في (أ): «ينبت».

(٨) «ذلك» ساقط من (و).

(٩) في (أ): «عليها».

(١٠) «موقنة» ساقط من (أ).

(١١) في (أ): «به».

هو أعظمُ منها، إذا عمل منها بشيء ظنَّ أنه قد استوجب النارَ، وأنه مسلوبٌ بها ما أنعم الله عليه به، فإذا كان العبدُ كذلك، كان مُوقِنًا وهو يعلم.

و<sup>(١)</sup> قلت: مال بآل أقوام عارفين يُذنبون؟

قال<sup>(٢)</sup>: ليعرفنهم الله فضله عليهم وإحسانه إليهم عند إساءتهم إلى أنفسهم، فتجدد<sup>(٣)</sup> عندهم النعم، ويستقبلون الشكر، فيصيرون بذلك إلى أعلى درجاتهم.



(٢) «قال» ساقط من (و).

(١) «و» ساقط من (أ).

(٣) في (أ): «فوجدد».



## باب تفسير الغيب

وقلت: متى يكون العبد معجبا وهو لا يعلم؟

قال: هذه مسألة تلحق جميع المُستدَرِّجين من الملوك وغيرهم من جميع الطبقات؛

فالمُلوك مُعْجَبُونَ بِمُلْكِهِمْ.

والتَّبَعُ مُعْجَبُونَ بِحُظوظِهِمْ ودَنَوِهِمْ مِنْ مُلُوكِهِمْ.

والتَّجَارُ مُعْجَبُونَ بِمَا بُسِطَ لَهُمْ مِنَ الْأَرْبَاحِ والثَّرْوَةِ، وما يَنَالُونَ مِنَ الدُّنْيَا فِي تِجَارَتِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَالْعَامَّةُ مُعْجَبُونَ بِمَا أُتُوا مِنَ الْأَهْلِ، وَالْوَلَدِ، وَالْأَمْوَالِ، وَالْأَرْبَاحِ، وَالْمَسَاكِينِ<sup>(١)</sup>.

وَالْعُلَمَاءُ مُعْجَبُونَ بِعِلْمِهِمْ، وَمَا / هـ / بُسِطَ لَهُمْ فِيهِ مِنَ الذِّكْرِ.

وَالْقُرَّاءُ مُعْجَبُونَ بِمَا نَالُوا مِنَ الْقُوَّةِ عَلَى إِظْهَارِ الزُّهْدِ وَالصُّومِ وَالصَّلَاةِ.

فليس من هذه صنف إلا وهو يُحِبُّ التَّعْظِيمَ وَالْمَحَمْدَةَ عِنْدَ مَنْ هُوَ دُونَهُ، وَعِنْدَ مَنْ هُوَ فَوْقَهُ، وَمَخْرَجُ ذَلِكَ كُلُّهُ مِنَ التَّجَبُّرِ، وَهَذِهِ<sup>(٢)</sup> فَنُونُهُ، فَإِذَا ثَبَتَ التَّجَبُّرُ فِي قَلْبِ عَبْدٍ ثَبَتَتْ فَنُونُهُ جَمِيعًا.

وَالتَّجَبُّرُ أَصْلٌ مِنْهُ يَتَفَرَّعُ جَمِيعُ الشَّرِّ؛ مِنَ الْغَضَبِ، وَالطَّمَعِ، وَحُبِّ التَّعْظِيمِ، وَالرِّيَاءِ، وَالرِّيَاسَةِ، وَالْمَنْزِلَةِ، وَالسُّمْعَةِ، وَالتَّزْيِينِ، وَالطَّيِّشِ، وَالْعَجَلَةِ، وَسُوءِ

(١) فِي (و): «وَالْمَسَاكِينِ»، وَالْأَوَّلَى وَالْمُنَاسِبُ لِلسِّيَاقِ مَا أَثْبَتْنَاهُ.

(٢) فِي (و): «وَهَذَا».

الْخُلُقِ، وَالْحِرْصِ، وَالشَّرِّ<sup>(١)</sup>، وَالْمَكْرِ، وَالْخَدِيعَةِ، وَالْغِشِّ، وَالْخِلَابَةِ،  
وَالْكَذِبِ، وَالْغِيْبَةِ، وَالنَّمِيمَةِ، وَالْحَسَدِ، وَالْقَسَاوَةِ، وَالْجَفَاءِ، وَالشُّحِّ، وَقِلَّةِ  
الْحَيَاءِ، مَعَ جَمِيعِ فُنُونِ الشَّرِّ، فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ.



(١) في (و): «الشر»، والأولى والمناسب للسياق ما أثبتناه، والشره: غلبة الحرص؛ مختار  
الصحاح (١٦٤)، مادة: (شره).

## باب التواضع

وإذا ثبتَ التواضعُ في القلبِ ثبتَ معه جميعُ الخيرِ<sup>(١)</sup> كله؛ من الرَّأفة، والرَّقة، والرَّحمة، والاستكانة، والقنوع، والرِّضا، والتَّوكل، وحُسن الظَّن، وشِدَّة الحياء، وحُسن الخُلُق، /١٦/ ونَفْي الطمع، وجهاد النَّفس، وبَذل المعروف، وسلامة الصَّدر، والتَّشَاغُل بالنفس، والمبادرة في العمل بالخير، والإبطاء عن الشر.

كل امرئٍ على قَدْر ما فيه مِنَ البرِّ يكون فِعْله على قدر ذلك، ويكون حِذْرُه على قَدْر ذلك.

فإن كنتَ تَسْأَلُ عن العُجْب الذي دخل على أصحاب الأعمال مِنَ العُبَاد، فسأخبرك بِفِتْنَتِهِمْ وشِدَّة بَلِيَّتِهِمْ، فتَوَقَّها واحذرْها، واستعن بالله، فإنه ليس شيءٌ أعجبَ إلى إبليس الخبيثِ من فتنة العابد؛ لأن فِتْن أهل الدنيا مكشوفةٌ بطلبهم الدنيا، فالناس قد عرفوهم بطلبها وفتنتها، فمنهم مَنْ يحتملها وهو يعلم أنه مفتون فيها.

وأما فتنة العابد؛ فهي أعظمها فتنة، وأعظمها بليَّة، وأعظمها صرْعَةً؛ لأنهم قد تركوا عبادة الدنيا، وجدُّوا في طلب الآخرة، وكابدوا المَقَاوِزَ والقِفَارَ، وجاهدوا صعود العقاب، وجاهدوا أنفسهم على ترك الدنيا؛ لمعرفتهم بالنفس وما تدعو إليه، ولمعرفتهم بالدنيا /٦ب/ وما تدعوهم إليه، وأَقْبَلُوا على طلب الآخرة وإيثارها بالصَّدق منهم وحُسن الإرادة، غير أن الله جل ثناؤه<sup>(٢)</sup> مُمْتَحِن هذا الخَلْق في كل أحوالهم؛ في تمسكهم بالدنيا، وفي تَرْكهم لها<sup>(٣)</sup>، وفي طَلَبهم الآخرة وإيثارهم لها بالجِدِّ والاجتهاد، وجَعَلَ في كل نوع من ذلك مؤنة، لا

(١) «باب في تفسير العجب ... جميع الخير» ساقط من (أ).

(٣) «لها» ساقط من (و).

(٢) في (أ): «ذكره».

تُرفع<sup>(١)</sup> إلا بالصبر، ووعد إبليس وعدًا، فهو مُنجزه له إلى يوم القيامة، بأن أسكنه هو وذريته صدور بني آدم، يجري منهم مجرى الدم<sup>(٢)</sup>، وذلك لمن أطاع منهم ولمن عصى، ولأوليائه منهم ولأعدائه<sup>(٣)</sup>.

فليس للعابد في عبادته أن ينفي الشيطان عن قراره، أو يُزعجه عن المسكن الذي أسكنه الله فيه، ومكَّنه منه، وهذه من المحن التي امتحن الله بها خلقه؛ لينظر كيف يعملون، غير أن العبد إذا تيقظ بقلبه، خَس الخبيث عنه، فلم يكن له سبيل<sup>(٤)</sup> إليه إلا مع غفلته، وطبع الله الخلق كلهم على الغفلة والتيقظ، وأيد العبد بمكابدة إبليس.

فليس أحدٌ أخرج إلى صحَّة تركيب العقل فيه من هذا العابد الذي قد<sup>(٥)</sup> قصد قصد خلافه، وقوي على احتمال ترك الأسباب / ١٧ / التي يصل بها<sup>(٦)</sup> إبليس إلى ابن آدم من فنون الشهوات، فحذف ذلك أجمع، وخلفه خلفه، ثم قرب من العقبة<sup>(٧)</sup> التي إن جاوزها كان منحدرها إلى الجنة بإذن الله، فتجرد له إبليس، وعلم أنه لم يبق عليه إلا هذه الدرجة التي إن سلِم منها نجا، فلا يسلم في مثل زمانك مع كثرة هذه الفتن والمحن، إلا من كان على مثل ما أصِفُ لك.



(١) في (أ): «لا تدفع».

(٢) أخرج البخاري واللفظ له في صحيحه (رقم: ٣٢٨١)، ومسلم في صحيحه (رقم: ٢١٧٥) عن صفية بنت حيي أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ...».

(٣) في (أ): «ولأوليائه وأعدائه».

(٤) في (أ): «شيء».

(٥) «قد» ساقط من (و).

(٦) «بها» ساقط من (أ).

(٧) في (و): «المعقبة».

### باب تصحيح النية واجتهاد العمل<sup>(١)</sup>

ينبغي للعبد أن يُصحح نيَّته التي هي قوامُ عمله، ويجمع لذلك قلبه وذهنه وغايته<sup>(٢)</sup>، ويُغزر علمه<sup>(٣)</sup> فيما يأتي، ويذُرُّ<sup>(٤)</sup> في عبادة ربه، ويقصد قصد معرفة ربه، ومكابدة عدوه، ومجاهدة نفسه، وإيَّاسه إياها من عملها بطلب الثواب، ويعلمها<sup>(٥)</sup> أنها إن انقطعت في عبادتها لم تبلغ درجة العفو؛ لعظيم ما جَنَّتْ من الإساءة.

ولو أن تلك العبادة والإحسان بإزاء ذنب واحد من ذنوبها لاستأهلت<sup>(٦)</sup> بذلك الذنب / ٧ب / العقاب، إلا أن يعفو الله، فكيف بجميع إساءتها مع قِلَّة ما يستقبل من إضمار<sup>(٧)</sup> التوبة والمراجعة؟

ثم يحملها على طاعة الله ما استطاعت، فإن عارضه إبليسُ بشيء، أو رفعت نفسه رأسها لتذكره شيئاً من إحسانها: قَمَعَهَا بما قد عَرَفَهُ الله منه<sup>(٨)</sup> من قديم إساءتها، ويذكرها عيوبها، فتتقمع عند ذلك، ويكون ذلك زاجراً للعدو إن شاء الله عندما أراد من خديعته؛ ليوقه في العُجب بالباطل.

فلو كان عُجْبُهُ عَجَب حَقِيقَةٍ من احتمال نفسه طاعة ربها بهشاشة منها، وسُرور وزهد فيما يكره الله: كان أولى الأشياء بالنفس<sup>(٩)</sup> مع صدقها في

(١) في (أ): «باب في النية والعبادة».

(٢) في (أ): «وعنايته».

(٣) في (أ): «عمله».

(٤) قال ابن فارس: «ذر: الذال والراء المشددة أصل واحد يدل على لطافة وانتشار»، مقاييس اللغة (٢/ ٣٤٣).

(٥) «ويعلمها» ساقط من (أ).

(٦) في (و): «لاستأهلت»، ويُقال استأهل بمعنى استحق واستوجب. المصباح المنير (ص ٢٨)، المعجم الوسيط (١/ ٣١).

(٧) في (أ): «ضماد»، وفي هامشها طرة: «إظهار، وفي أخرى: إضمار».

(٨) «منه» ساقط من (أ).

(٩) في (أ): «باليقين».

الطاعات الرجوع إلى الشكر؛ لأن العمل بطاعة الله نعمة من الله على العامل فيما يسر له من العمل، ومن غفل عن الشكر في العمل، وذكر نفسه إحسانها<sup>(١)</sup>: كان جاهلاً بربه، جاهلاً له بالعمل، جاهلاً بالنعم، فمن ها<sup>(٢)</sup> هنا رجع الشيطان بعون الله صاغراً، ناكصاً على عقبيه.

فألزم نفسك الذم، / ٨ / وأرجع إلى ما عرفك ربك من نفسك، ومن معرفة عدوك، وأرغب إلى الله<sup>(٣)</sup> في العصمة من شر نفسك وشر عدوك، واسأله الكفاية، فإنه لم يلجأ إليه أحد في شيء من ذلك<sup>(٤)</sup> إلا وجده قريباً مجيباً<sup>(٥)</sup>.

فإذا صار العبد إلى هذه الدرجة أُعطي هذه المعرفة، فلا تكون له همّة ولا بُغية ولا مسألة إلا النقلة من ضيق الدنيا وغمّها، مخافة أن تعارضه<sup>(٦)</sup> فتنة من فتنها، فتحول<sup>(٧)</sup> بينه وبين معرفته، ويرتجي<sup>(٨)</sup> أن يصير إلى الآخرة وروحها؛ ليأمن فيها على نفسه من روعات إبليس وجنوده لعنة الله عليهم<sup>(٩)</sup>.

وأنا أوصيك أن تطيل النظر في مرآة الفكرة، مع كثرة الخلوات، حتى يُريك<sup>(١٠)</sup> شين المعصية وقبحها، فيدعوك ذلك النظر إلى تركها.



(١) في (أ): «إحسانه».

(٢) «ها» ساقط من (أ).

(٣) «إلى الله» في (أ): «إليه».

(٤) «من ذلك» ساقط من (و).

(٥) قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَلِّهِمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

(٦) في (و): «يعارضه».

(٧) في (أ): «تحول».

(٨) في (و) و (أ): «يرتجي»، ويرتجي أصلهما واحد؛ «رجو: الرجاء، ممدود: نقيض

اليأس.. رجاء يرجو رجاءً، ورجى يُرجى، وارتجى يرتجي، وترجى يرتجى ترجياً العين

(٦ / ١٧٦).

(٩) «لعنة الله عليهم» ساقط من (أ).

(١٠) في (و): «تريك».

### باب في<sup>(١)</sup> الرياء.

وقلت: متى يكون العبد مُرائياً وهو لا يعلم؟

فإن أصل ذلك أن العبد لم يزل منذ<sup>(٢)</sup> نشأ مُرائياً في جميع أحواله؛ وذلك لميله إلى الدنيا وإيثاره لها على الآخرة، / ٨ب / وإهماله نفسه وإرساله نيته، فلما أهمل<sup>(٣)</sup> نفسه، وقلَّت محاسبته لها: لم يتخلص من الرياء<sup>(٤)</sup>، فعمل للدنيا على غير أصل نية ثابتة.

وقد نهى الله عزَّ وجلَّ عن إهمال النفس، وتضييع الأعمال، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣]، فنهاهم عزَّ وجلَّ عن إضاعة العمل، فلا يكون عملٌ من الأعمال إلا عن إرادة، ولا تكون الإرادة إلا عن النية.

وقد نهى الله عزَّ وجلَّ عن إضاعة شيءٍ من ذلك، وأيُّ عملٍ أكثر من الإرادة والنية، وقد وجدنا الإنسان لا يخلو من حركةٍ أو سُكُونٍ، والحركة والسُكُونُ جميعاً عمل.

وقد نهى الله عزَّ وجلَّ عن تضييع العمل، فلما ترك ما أمره الله به من إخلاص العمل، لم يُمَيِّزْ بين الرياء من غيره، أَمَرَجَ نفسه<sup>(٥)</sup> فعمل على ما يخطر بباله، فجميع<sup>(٦)</sup> ما يتقلب فيه رياء ظاهرٌ محضٌ، لا يعرفه هو من نفسه، ويعرفه منه مَنْ نَوَّرَ الله تعالى الحكمة في قلبه، فهم يرون فعلهم<sup>(٧)</sup> فَعَلَ أَهْلَ الرِّيَاءِ، فمنهم

(١) في (و): «من».

(٢) في (أ): «مذ».

(٣) في (و): «أهل».

(٤) «من الرياء» ساقط من (أ).

(٥) أَمَرَجَ نفسه: أي أرسلها، يُنظر لسان العرب (٣٥٦/٢) مادة: «مرج».

(٦) في (أ): «وجميع».

(٧) «فعلهم» ساقط من (أ).

مَنْ يُمَسِّكُ / ١٩ / عَنْ صَاحِبِهِ لِمَعْرِفَتِهِ بِهِ، وَلَوْ أَنَّهُ أَبَدَى لَهُ شَيْئًا مِنْ عُيُوبِهِ نَفَرَ مِنْهَا، وَدَبَّ<sup>(١)</sup> عَنْ نَفْسِهِ، وَأَبْطَلَ مَا نَسَبَهُ إِلَيْهِ، فَصَارَ عَدُوًّا مُشَاحِنًا، وَأَقْلُ مَا يَقُولُ لِلْعَارِفِ بِعُيُوبِهِ: حَسَدْتَنِي.

فَلَمَّا عَرَفَ الْحَكِيمُ<sup>(٢)</sup> أَهْلَ زَمَانِهِ، وَأَنَّ زَمَانَهُ زَمَانُ غَلْبَةِ الْهَوَى وَإِعْجَابِ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، اعْتَزَلَ بِنَفْسِهِ، وَنَفَرَ عَنِ الْعَامَةِ، وَعَلِمَ أَنَّهُ زَمَانٌ قَدْ صَارَ الْمَعْرُوفُ عِنْدَ أَهْلِ زَمَانِهِ مُنْكَرًا، وَأَنَّ الشَّرَّ قَدْ أَحَاطَ بِالْخَيْرِ، اعْتَزَلَ أَهْلُ زَمَانِهِ بِصِدْقِ الْإِرَادَةِ.

فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ الصِّدْقُ وَمَا فِيهِ، وَأَنَّ الْعَمَلَ لَا يَصْفُو إِلَّا بِالصِّدْقِ، اتَّقَى الْكَذِبَ وَفُنُونَهُ كُلَّهَا<sup>(٣)</sup>، وَتَشَوَّفَتْ عِنْدَ ذَلِكَ نَفْسُهُ إِلَى الْكَذِبِ وَالرِّيَاءِ؛ لِحُلَاوَةِ فُنُونِهِ عِنْدَهَا، فَأَخَذَهَا بِالْجِدِّ فِي تَرْكِ ذَلِكَ وَالْاجْتِهَادِ.

فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ مِنْهُ، رَجَعَتْ مُنْقَادَةً، فَلَمَّا صَارَتْ إِلَى تِلْكَ الْحَالِ، وَرَأَى الْعَبْدُ ذَلِكَ مِنْهَا، أَزْدَادَ فِي الصِّدْقِ شَوْقًا<sup>(٤)</sup>، وَازْدَادَ لِلْكَذِبِ مَقْتًا، وَإِنَّمَا كَانَ يَنْفِرُ الصِّدْقَ وَفُنُونَهُ مِنْ قَلْبِهِ؛ لَغَلْبَةِ الْكَذِبِ وَفُنُونِهِ عَلَيْهِ، وَهُوَ الرِّيَاءُ، وَالْعُجْبُ، وَحُبُّ الرِّيَاسَةِ، وَاتِّخَاذُ الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ الْمَخْلُوقِينَ، / ٩ ب / وَالْمَحْمَدَةِ، وَالتَّعْظِيمِ، وَالتَّجَبُّرِ فِي الْأَعْمَالِ الْكَاذِبَةِ، فَمِنْ عَمَلٍ بِالصِّدْقِ، وَنَفَى الْكَذِبِ، بَرِيءٌ مِنَ الرِّيَاءِ وَالْعُجْبِ وَدَوَاعِي الشَّرِّ كُلِّهِ، فَإِذَا خَلَا مِنْ ذَلِكَ، ثَبَتَ الصِّدْقُ وَفُنُونُهُ<sup>(٥)</sup> فِي قَلْبِهِ.



(١) فِي (أ): «وَدَبَ» بِالْدَالِ الْمَعْجَمَةِ. (٢) فِي (و): «الْحَكَمَ».

(٣) فِي (و): «اتَّقَاءَ الْكَذِبِ وَفُنُونَهَا كُلِّهَا»، وَالْأَوَّلَى وَالْمُنَاسِبُ لِلْسِّيَاقِ مَا أُثْبِتْنَاهُ.

(٤) فِي (أ): «تَشَوَّقًا». (٥) «وَفُنُونُهُ» سَاقَطَ مِنْ (أ).



## باب معرفة العمل<sup>(١)</sup>

وقلت: متى ينتفع بعمله؟

قال: إذا كان مُطِيعًا لعلمه، متبعا لدلالته وأعماله<sup>(٢)</sup>.

و<sup>(٣)</sup> قلت: فهل ينتفع العبد بالمعرفة إذا كان مُقَصِّرًا<sup>(٤)</sup>؟

قال: لمسألتك جوابان؛ لأن التقصير<sup>(٥)</sup> في العمل والتضييع للعمل يختلف معناه؛ لأنه مَنْ لم يبلغْ من الشكر على قَدْرِ النِّعْمَةِ عليه، وهو يُعْمَلُ بالدلالة غير أن عمله قليل، فهو مقصر في العمل<sup>(٦)</sup>، والتضييع للعمل ما كان منه على غير دلالة، وإن كثر فإنه خفيف الوزن، وذلك الأول<sup>(٧)</sup> أوزن منها، غير أن المعرفة نعمة أقبلت لاجتلاب الخير إلى مَنْ أقبلت إليه، مع قيام العبد الذي أقبلت إليه بالشكر. وليس يُؤْتَى أحدٌ الأمر قبل تضييع الشكر؛ لأن النعم من الله سابقة<sup>(٨)</sup> إلى خلقه، وذلك أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى / ١٠ / أوجب على نفسه لخلقهِ جميعا الابتداء بالنعم، وهو أولى بالإحسان<sup>(٩)</sup> إلى عباده، وفرض عليهم الشكر فرضا، ثم أوجب لهم عليه المزيد من فضله امتنانا منه عليهم، وأوجب العقوبة على مَنْ يضيع<sup>(١٠)</sup> الشكر امتحانا، فصَفَحَ بَعْدَ عَمَلٍ شَاءَ مِنْهُمْ على تركه للشكر،<sup>(١١)</sup>،<sup>(١٢)</sup>.



(١) في (أ): «باب في العلم».

(٢) في (أ): «وأعلامه».

(٣) «و» ساقط من (أ).

(٤) «إذا كان مقصرا» ساقط من (أ).

(٥) في (و): «التمييز».

(٦) «فهو مقصر في العمل» ساقط من (و).

(٧) في (أ): «وتلك الأولى».

(٨) في (و): «سابقة من الله عز وجل».

(٩) في (أ): «بالإحسان تَبَارَكَ وَتَعَالَى».

(١٠) في (أ): «ضيع».

(١١) في (أ): «الشكر».

(١٢) قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

باب علامة الخير<sup>(١)</sup>

واعلم أن لدواعي الخير علامات تستجلب؛ منها داعية<sup>(٢)</sup> الحزن والتفكير، فهو بين ذلك مشرور؛ لأنه جعل ذلك في الدنيا بُغْيته وأمله، فإذا أدرك أمله ووجد بُغْيته طاب عيشه، كما أن طالبي الدنيا إذا أدركوا ما أملوا<sup>(٣)</sup> من نعيمها وزهرتها أحاط بهم السُّرور، فكَذلك طالب الآخرة، وهو يعد<sup>(٤)</sup> ذلك من نفسه، وعدوه، وزوجته، وولده، وأهل زمانه؛ خائف وجَل<sup>(٥)</sup>، لا يأمن الشيطان إلا مع استذكاره؛ لقول<sup>(٦)</sup> الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، فحينئذ يقوى قلبه، واستصغر كَيْد مَنْ كايده، وهو مع ذلك / ١٠ ب / معتصم بربه، واثق به.

فمن طلب الآخرة فلا يغفلن، وليبْنِ على ما<sup>(٧)</sup> طلب السلامة من الخطيئة، وعلى أساس الصُّدق فيما بينه وبين ربه، ولا يخافن على قليل عمله إذا أخلصه الله من الآفات كُلِّها أن ينميه الله له ويكثره، ولا سيما إذا كنت في زمان قد كثرت فيه الشُّبهة والاختلاف، فإن يخلصك قليل عملك من بين ظهрани أهل الشُّبهة والاختلاف، حتى تكون عاملاً على حُكم الكتاب والسُّنة، فإن ذلك عند الله كثير. فكن في زمانك أشدَّ تيقظاً للتخلص<sup>(٨)</sup> إلى معرفة ما كان عليه السلف الماضون من اتباع حُكم الكتاب والسُّنة.



(١) «باب علامة الخير» ساقط من (أ).

(٢) في (أ): «بها دواعيه».

(٣) في (أ): «آمالهم».

(٤) في (أ): «خائفاً وجلاً» بالنصب.

(٥) في (أ): «م» ساقط من (أ).

(٦) في (أ): «بها دواعيه».

(٧) في (و): «بعد».

(٨) في (أ): «قول».

(٩) في (و): «للتخلص».

باب المعرفة بالله عزَّجَل<sup>(١)</sup>.

واعلم أن المعرفة إذا استحكمت فيك لم تدعك والتقصير في العمل، بل تنقلك من درجة إلى درجة، حتى تبلغك غايات ما عملت من الخير، أو يأتيك الموت وأنت طالب لغاياتها.

وكما أن الأرض لا تثبت بغير ماء، فكذلك العمل لا يصلح بغير معرفة، فكلما / ١١ / ازداد العبدُ بالله معرفةً ازداد يقيناً، وكلما ازداد يقيناً ازداد الله خوفاً، وكلما ازداد الله خوفاً ازداد لربه طاعة<sup>(٢)</sup>، وكلما ازداد لربه طاعة ازداد له حُباً، وكلما ازداد الله حُباً ازداد إليه شوقاً، وكلما ازداد إليه شوقاً ازداد<sup>(٣)</sup> للموت حُباً.

فإذا كان العبدُ كذلك كان مغموماً في حالة، مسروفاً في أخرى، وذلك أن المغموم على الحقيقة لا يتأسى بأهل السُّرور في الدنيا، ولا يجري معهم فيما هم فيه، وذلك أن المغموم جمع همومه كلها فنصبها بين عينيه، ثم جعلها همماً واحداً، فقصر به أجله، وهجم به على معاني<sup>(٤)</sup> أهوال آخرته.

والمغموم بالحقيقة يُنبِّهه الغم على التسويف، فيعمل في<sup>(٥)</sup> النقلة من دار الغموم إلى<sup>(٦)</sup> دار السُّرور، وسأصف لك إن شاء الله حال المغمومين<sup>(٧)</sup>.



(١) في (أ): لحق فيه: «في أخرى: باب معرفة المعرفة».

(٢) قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

(٣) «ازداد» ساقط من (أ).

(٤) في (أ): «معاني».

(٥) «في» ساقط من (و).

(٦) «الغموم إلى» ساقط من (أ).

(٧) في (أ): «حال المغمومين إن شاء الله»، وهو مجرد تقديم وتأخير لا يؤثر في المعنى.

باب صفة المغموين<sup>(١)</sup>

اعلم أن الله<sup>(٢)</sup> عبادة تدبروا فعرفوا، فلما عرفوا أيقنوا، فلما أيقنوا خافوا، فلما / ١١ ب / خافوا تعلموا، فلما علموا صمتوا، فلما صمتوا عملوا، فلما عملوا أشفقوا، فلما أشفقوا<sup>(٣)</sup> اجتهدوا، فلما اجتهدوا رغبوا، فلما رغبوا صبروا، فلما صبروا أبصروا مساوي أنفسهم.

فلما أبصروا مساوي أنفسهم قصدوا قصد مجاهدتها بالقلوب، فارتفعوا عن أعمال الجوارح إلى تصحيح أعمال القلوب إلى ما لزمهم من أداء الفرائض المحتومة<sup>(٤)</sup>، فنقلوا طبائعهم عن الريب والدناءة، وجانبوا في أحوالهم كلها ومعاملاتهم أحوال أهل المكّر والخديعة والخب<sup>(٥)</sup>، وألزموا أنفسهم<sup>(٦)</sup> مَحَجَّة الطريق في أفعالهم كلها ومنطقهم، فاستخلصوا باطن الأعمال التي لا تظهر للمخلوقين، وأراحوا أبدانهم من ظاهر الأعمال، إلا ما لزمهم من أداء الفرائض المحتومة.

فصارت أعمالهم سرابيل<sup>(٧)</sup> قلوبهم التي هي أرجح وزنا، وأحمد<sup>(٨)</sup> ذكرا عند الناس، وعلقوا قلوبهم بحب لقاء الله، فصغرت الدنيا في أعينهم، فإذا

(١) «باب صفة المغموين» ساقط من (أ). (٢) «الله» ساقط من (أ).

(٣) «فلما أشفقوا» ساقط من (أ).

(٤) «إلى ما لزمهم من أداء الفرائض المحتومة» ساقط من (أ).

(٥) في (و): «الحب للدنيا». والخب: الخداع، مقاييس اللغة (٢/ ١٥٧)، مادة: «خب».

(٦) في (و): «لأنفسهم».

(٧) في (أ): «سرا بين»، والسربال: القميص والدرع، وقيل: كل ما لبس فهو سربال، وقد تسربل

به وسربله إياه، وسربلته فتسربل أي: ألبسته السربال، وفي حديث عثمان رضي الله عنه: «لا أخلع

سربالا سربلنيه الله تعالى»، لسان العرب (١١/ ٣٣٥)، مادة: «سربل».

(٨) في (أ): «وأخمل».

أَقْبَلْتُ عَلَيْهِمْ خَافُوا وَحَزَنُوا؛ خَوْفًا مِنَ الْاِسْتِدْرَاجِ وَالْمَكْرِ، / ١٢ / وَإِنْ أَدْبَرْتُ عَنْهُمْ<sup>(١)</sup> سُرُّوا وَفَرَحُوا، وَدَافَعُوا الْأَيَّامَ مُدَافَعَةً جَمِيلَةً، مُسْتَتَرِينَ عَنِ الْأَهْلِ، وَالْوَلَدِ، وَالْإِخْوَانِ، وَالْجِيرَانِ.

فَهَمَّتْهُمْ فِي بَاطِنِ أُمُورِهِمْ كَالِدِّيَابِاجٍ حُسْنًا، وَفِي الظَّاهِرِ مَنَادِيلٌ مَبْذُولِينَ<sup>(٢)</sup> لِمَنْ أَرَادَهُمْ مَغْمُومِينَ، يَكْأَشِرُونَ<sup>(٣)</sup> النَّاسَ بِوُجُوهِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ بِأَكْيَةِ<sup>(٤)</sup>، وَصِفَاتِهِمْ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُحِيطَ الْوَاصِفُ بِهَا فِي الْكُتُبِ، وَالْكَلَامُ يَكْثُرُ فِي ذَلِكَ.

فَهَذِهِ صِفَةٌ<sup>(٥)</sup> الْمَغْمُومِينَ عَلَى الْحَقِيقَةِ، الْمَسْرُورِينَ بِاللَّهِ، الْمُنْقَطِعِينَ لِلَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ، فَالْحَمْدُ<sup>(٦)</sup> لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.



(١) «عَنْهُمْ» سَاقَطَ مِنْ (و).

(٢) الْكَلِمَتَانِ غَيْرِ وَاضِحَتَانِ فِي (أ).

(٣) الْكُثْرُ: بَدُو الْأَسْنَانَ عِنْدَ التَّبَسُّمِ، لِسَانُ الْعَرَبِ (٥ / ١٤٢)، مَادَّةُ: «كُثِرَ».

(٤) وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: «إِنَّا لَنَكْشُرُ فِي وَجْهِهِ أَقْوَامَ، وَنَضْحُكُ إِلَيْهِمْ، وَإِنْ قُلُوبُنَا لَتَلْعَنُهُمْ»، أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي شُعْبِ الْإِيمَانِ (رَقْمُ: ٧٧٤٩).

(٥) فِي (أ): «صِفَاتُ».

(٦) فِي (أ): «وَالْحَمْدُ».

### باب معرفة المرء عيوب نفسه<sup>(١)</sup>.

واعلم أني قد وجدتُ الذي يُعين على معرفة عيوب النفس والعمل في مجاهدتها: مخالفة الهوى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم<sup>(٢)</sup>.

إخواني: إنه<sup>(٣)</sup> مَنْ لم يعرف نفسه و<sup>(٤)</sup> عيوبها، فهو من استقامة دينه على اعوجاج.

واعلم أن من حُسن سيرة العارف بعيوب نفسه: أن يبني دينه على غير قبح ولا فساد.

وأصل العلم الغريب<sup>(٥)</sup> يُدرك بِفِطْنِ العقول الرّضيّة، وتُدرك<sup>(٦)</sup> البصائر بالحجج الواضحة، وبنور الحكمة النافذة<sup>(٧)</sup>، وبمخالفة الأهواء، وبفوائد المعرفة الشافية، وبإصابة / ١٢ ب / الحق في القول والعمل.

ولا يبلغ هذه المراتب العالية إلا مَنْ تَقَلَّدَ حَبَّ الآخرة، مُوقِنًا بها، وراغبًا فيها، ومؤثرًا لها على ما سواها، وخَلَعَ عن قلبه حُبَّ الدنيا، وزهد فيها بالحقيقة، واستشعر التواضع، وهَجَرَ الهوى<sup>(٨)</sup>.

(١) في (أ): «باب في عيوب النفس».

(٢) «واعلم أني قد وجدتُ ... بالله العلي العظيم» توجد هذه الجملة في (و) في آخر باب التزین.

(٣) «إنه» ساقط من (و). (٤) «و» ساقط من (و).

(٥) في (و): «العزیز»، ويقصد بالعلم الغريب: العلم الباطني؛ وهو علم الخاصة، وقد ذمه الإمام

مالك رَحِمَهُ اللهُ حيث قال: شر العلم الغريب، وخير العلم الظاهر الذي قد رواه الناس، رواه

الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي والسماع (رقم: ١٢٩٢).

(٦) في (أ): «ويدركان». (٧) في (أ): «الثاقبة».

(٨) ورد بعد هذا في (أ): «وتَجَرَّدَ الثواب، والميل إلى الدنيا، وإيثار شهواتها ولذاتها»، وورد في (و) في آخر باب التزین.

فينبغي / ١٨ ب/ للعاقل الحازم اللبيب العالم العامل العارف البصير الناقد<sup>(١)</sup>  
أن يحذر ذلك كلّهُ، ويتخذ الصبر مَطِيَّةً، ولا يبتغي<sup>(٢)</sup> تعجيل الثواب ها هنا،  
ويتحرك لعزيمة الصَّبْر، وبالله التوفيق.



(١) «الناقد» ساقط من (أ).

(٢) في (أ): «ينبغي».

باب خاطر السوء في القلب<sup>(١)</sup>

يا أخي؛ إنه لن يعدمك من عدوك خاطر السوء<sup>(٢)</sup> في القلب للمعصية،  
فادفعه عنك بحاكم<sup>(٣)</sup> العلم من القلب للطاعة<sup>(٤)</sup>.

وإنه لن يعدمك من عدوك<sup>(٥)</sup> سرعة القبول لموافقة الهوى، فاردده عنك  
بقلة المساعدة بخلاف الهوى.

واعلم أنه<sup>(٦)</sup> لن يعدمك من نفسك<sup>(٧)</sup> التَّشَبُّط في<sup>(٨)</sup> العمل، فادفعه عنك  
بتعجيل المبادرة في العمل.

وإنه لن يعدمك من نفسك التَّشَبُّط بالكسل، فادفعه عنك باغتنام / ١٣ /  
الصُّحة.

واعلم يا أخي أن القلب إذا تراكمت<sup>(٩)</sup> عليه أقدار الذنوب وأطفاس<sup>(١٠)</sup>  
الشَّهَوَات عَمِي، واسْوَدَّ، ونكس، وطَفَى نوره، فلم يبصر عيوب نفسه، وأبصر  
بعينه عيوب غيره، فشغل به عن عيوب نفسه، فليس شيء أولى بالمدَّعين  
للإرادة من أن يتوسَّلوا إلى الله عزَّ وجلَّ بطلبهم<sup>(١١)</sup> منه صلاح قلوبهم، ليسلِّموا  
من شرور أنفسهم وغلبة أهوائهم.

(١) «باب خاطر السوء في القلب» ساقط من (أ).

(٢) في (أ): «الشر».

(٣) في (أ): «تحاكم».

(٤) في (أ): «بالطاعة».

(٥) في (أ): «نفسك».

(٦) في (أ): «وإنه».

(٧) في (أ): «عدوك».

(٨) في (أ): «تراكبت».

(٩) في (أ): «عن».

(١٠) الطَّفَسُ، بالتحريك: الوسخ والدرن، مقاييس اللغة: (٤١٥ / ٣)، لسان العرب: (١٢٤ / ٦)،

مادة: «طفس».

(١١) في (أ): «بطلبهم».



واعلم أن القلب إذا لم يثبت فيه الحزن خرب، كما أن البيت إذا لم يسكن خرب<sup>(١)</sup>.




---

(١) أخرج أحمد في كتاب الزهد (رقم: ١٨٧٠) أن مالك بن دينار قال: «القلب إذا لم يكن فيه حزن خرب، كما أن البيت إذا لم يسكن خرب». وقال ابن أبي حاتم: قال لي علي بن عبد الرحمن: قال لي أحمد بن عاصم: قلة الخوف من قلة الحزن في القلب، وإذا قل الحزن خرب القلب، كما أن البيت إذا لم يسكن خرب. تاريخ الإسلام للذهبي (٥ / ٥٠٨).

### باب في الحزن والخوف<sup>(١)</sup>

[و] قلت: ما علامات<sup>(٢)</sup> الحُزن الدائم في القلب<sup>(٣)</sup>؟

قال: إذا غلبَ على القلب طول الفكر، والنظر في العبر، وأحبَّ الخلوة والانفراد.

قلت: فالعلامة الثانية التي ذكرتها في الخائف ما هي؟

قال: الانتقالُ عما تكره من نفسك، وتعلم أن الله يكرهه منك إلى ما تحبه من نفسك، وتعلم أن الله يحبه منك، ولا يوجد ذلك إلا بالخوف.

واعلم أن العلم والعمل بالعلم لا ينفع العبد إلا باستقامة<sup>(٤)</sup> / ١٣ ب / قلبه، وإلا عاد العلم عليه فصار جهلاً، وعاد العمل فصار ضرراً، مع أن فساد قلوبنا هو الذي فرق بيننا وبين سلوك طريق الاستقامة، والاتباع للقوم الذين يصلحون عند فساد الناس، هم الذين لم يتركوا شيئاً من الفرائض<sup>(٥)</sup> إلا أدّوه، ولم يتركوا الصلاة، والزكاة، والحج، والصيام، والغسل من الجنابة، والطهور للصلاة عليهم واجبٌ ذلك كله، وهو شيء معروف لم يزد فيه ولم ينقص منه.

فما بال الفساد واقع علينا ونحن لا ننكر هذه الفرائض، كما لم ننكرها<sup>(٦)</sup>، وإنما لنعمل في الظاهر بأكثرها، غير أن القلوب منا مائلة إلى حب ما زهد القوم فيه، والأنفس منا مائلة<sup>(٧)</sup> لحب هواها، مستثقلة لما في الحق من الصبر والمكروه؟

(١) «باب في الحزن والخوف» ساقط من (و).

(٢) في (أ): «علامة». (٣) «في القلب» ساقط من (أ).

(٤) في (أ): «من الفرائض شيئاً»، وهو مجرد تقديم وتأخير لا يؤثر في المعنى.

(٥) في (أ): «ينكروها». (٦) في (و): «قابلة».

وسأعطيك دواءً لِفَسَادِ قلبك، ينفعك الله به إن كانت بك الحياةُ إن شاء الله  
جل وعز.

اعلم يا أخي أن القومَ صَبَرُوا على مكروه ما دَلَّهم عليه الحق، فَصَبَرُوا في  
الغضب والرِّضا، والشَّدَّة والرِّخاء، والعُسْر واليُسْر، والعافية / ١٤ / والبلاء،  
فكانت أهواؤهم تابعة للحقِّ على ما أحبت الأنفس أو كرهت، فكان الحقُّ  
لها قائداً، والهوى للعقل تابعاً، فاستقامت منهم السَّيرة، بلزومهم مَحَجَّةَ الحق  
في مَوْطن غضبهم، ورضاهم، وطمعهم، وتقومهم، وكانوا إذا امْتَحِنُوا في هذه  
المواطن، ظهر منهم في الغضب قولُ الحق في مواطن غضبهم، هم له في ذلك  
الوقت ألزَم وأشدُّ تَمَسُّكاً منهم في مواطن الرِّضا.

فإن عارضهم طَمَعُ دنيا ظهر التَّنَزُّه، والتقوى<sup>(١)</sup>، والتَّائِي، والورع، وفَقِد منهم  
الجِرْص والرَّغْبَة، خُلِقَا كان منهم كالطباع لم يَتَصَنَّعُوا فيه، وطباعنا<sup>(٢)</sup> اليوم  
تخالف<sup>(٣)</sup> ذلك كلَّه، وكانوا أخوفَ لله، وله أخطر مخافةً ألا يُقبل لهم عمل<sup>(٤)</sup>.

ولا<sup>(٥)</sup> تفرحَن بكثرة العمل مع قِلَّة الحُزن، فاغتنم<sup>(٦)</sup> قليل العمل مع  
الحُزن، فإن قليل حُزن الآخرة الدائم في القلب يَنْفِي غِلَّه<sup>(٧)</sup> كل سرور أَلِفَه من  
سُرور الدنيا.

وقليل سُرور الدنيا في القلب يَنْفِي عنه جميع حزن / ١٤ ب / الآخرة، والحزن  
لا يصل إلى القلب إلا مع تيقظه، وتيقظه<sup>(٨)</sup> حياته.

(١) في (أ): «والتقى».

(٢) في (أ): «وطباعنا».

(٣) في (أ): «بخلاف».

(٤) في (أ): «عملاً» بالنصب.

(٥) في (أ): «فلا».

(٦) في (أ): «واغتنم».

(٧) «غله» ساقط من (أ).

(٨) في (و): «تيقظه وتيقضه».

وسرور الدنيا لغير الآخرة لا يصل إلى القلب إلا مع غفلته، وغفلة القلب موته.

والحزن يستيقظه<sup>(١)</sup> التيقُّظ من خالص عين اليقين، وبخطرات غائص<sup>(٢)</sup> الفهم تكون خطرات اليقين، وعلامة ثبات اليقين في العبد استدامة<sup>(٣)</sup> الحزن فيه.



(١) في (و): «يستنبطه». (٢) في (أ): «غامض».

(٣) «ثبات اليقين في العبد استدامة» ساقط من (أ).

باب في الحزن<sup>(١)</sup>

واعلم أني لم أجد شيئاً أبلغ في الزهد في الدنيا من ثبات حُزن الآخرة في القلب، وعلامة ثبات الحزن<sup>(٢)</sup> في القلب أنس العبد بالوحدة<sup>(٣)</sup>، وموضع هياج الحُزن التيقُّظ، والسُّرور معدنه، ومفتاحه العقل<sup>(٤)</sup>، ومُحال أن يكون محزوناً مسروراً في حالة<sup>(٥)</sup> واحدة.

وجميع الطاعات تؤخذ بالتكليف إلى<sup>(٦)</sup> أن يصل إلى القلب الذي يكون منه الحزن، وذلك أن أهل الطاعة قدّموا بين يدي الأعمال لطيف معرفة الأسباب التي بها يستديمون صالح الأعمال، ويسهل عليهم مأخذها توطئاً منهم لأنفسهم استصحاب نيتهم إلى انقضاء حالهم<sup>(٧)</sup>، فصيّروا أعمالهم في الدنيا يوماً واحداً / ١٥ / ليلة واحدة<sup>(٨)</sup>، كلما مضت ليلة استأنفوا الثانية، وطلبوا من أنفسهم حُسن الصُّحبة ليومهم وليلتهم، وكلّما مضى عنهم يومٌ بحُسن الصُّحبة منهم أو ليلةً، راقبوا أنفسهم فيها على جميع الطاعة، وكان ذلك عندهم غنماً<sup>(٩)</sup>.

(١) في (أ): «باب في الزهد والحزن للآخرة». (٢) في (أ): «حزن الآخرة».

(٣) نقل عنه هذه الفقرة ابن عجيبة في البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٤/ ٢٧٥)، ثم قال عقبها: «وهذا مذهب العباد والزهاد، وأما العارفون فقد دخلوا جنة المعارف، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، جعلنا الله من خواصهم بمنه وكرمه».

(٤) في (و): «الغفلة».

(٥) في (أ): «حال»، وكلاهما يستقيم به المعنى.

(٦) في (أ): «وجميع الطاعات توجد بالتكليف والحزن لا يوجد بالتكليف إلا».

(٧) في (أ): «آجالهم». (٨) «واحدة» ساقط من (و).

(٩) يُنظر المدخل لابن الحاج: (٣/ ٧٩).

وذكروا اليوم الماضي فسروا به، فصبروا أنفسهم على اليوم المستقبل؛ لانقضاء الأجل فيه أو في ليلته، وطرحوا شغل القلب بذكر غَدٍ، وأعملوا أبدانهم وجوارحهم فيه، وتفرغوا له، فقصرت منهم الآمال، وقربت عندهم الآجال، وتباعدت عنهم أسباب وساوس الدنيا، وعظم شغل الآخرة في قلوبهم، فنظروا إليها بعين صاحبة النظر نافذة البصر، وتقربوا إلى الله بالأعمال الزاكية، فاستقامت لهم السيرة حتى<sup>(١)</sup> وجدوا حلاوة الطاعة، / ٢٠ ب / وطاوعتهم الزيادة في التقوى، فقررت بالخوف أعينهم، وتنعموا بالحزن في عبادتهم، حتى نُحِلَّت أجسامهم، وبليت أجسادهم، وقَلَّ مع المخلوقين كلامهم، وتلذذوا بمناجات خالقهم.

فقلوبهم بملكوت السماوات متعلقة، وفكرهم بأهوال القيامة مُقبلة ومدبرة، وأبدانهم من المخلوقين عارية، فعَمُوا عن الدنيا، وصَمُّوا عنها، وعن ما فيها، ووضح لهم أمر الآخرة حتى كأنهم إليها ينظرون<sup>(٢)</sup>، فالحمد<sup>(٣)</sup> لله رب العالمين.



(١) في (أ): «حين».

(٢) من بداية الفقرة الثانية من هذا الباب أورده أبو نعيم في حلية الأولياء (٩ / ٢٨٤) نقلا عن الأنطاكي.

(٣) في (أ): «والحمد».

باب في الغيبة والنميمة<sup>(١)</sup>

واعلم أن مخرج الغيبة إنما هو<sup>(٢)</sup> تركية النفس والرضا عنها؛ لأنك إنما تنقصت غيرك لفضيلة<sup>(٣)</sup> وجدتها عندك، وإنما<sup>(٤)</sup> اغتبت بها ترى أنك منه بريء، ولم تغتبه لشيء<sup>(٥)</sup> إلا وما احتملت في نفسك من العيب أكبر<sup>(٦)</sup>، وإنما يقبله منك مثلك، فلو عقلت أن فيك من النقص أكثر لحجزك ذلك عن غيبتك<sup>(٧)</sup>، ولا استحييت أن تغتابه بما فيك أكثر منه، ولو علمت أن جرمك عظيم بغيبتك غيرك، وظنك أنك مبرأ من العيوب: لحجزك ذلك وأشغلك<sup>(٨)</sup> عن ذلك، وكيف وإنما يلقي الأموات الأموات، ولو كانوا أحياء إذن ما احتملوا / ١٥ ب / ذلك منك ولتناهوا.

واعلم أن ميّت الأموات<sup>(٩)</sup> أحمد في العاقبة من ميت الأحياء، وتفسير ميت الأحياء: موت القلوب وهم أحياء في الدنيا<sup>(١٠)</sup>، فمن كانت هذه صفته، كثرت أوزارُه وعظمت بليّته.

(١) «باب في الغيبة والنميمة» ساقط من (و).

(٢) في (أ): «هي من».

(٣) في (أ): «بفضيلة».

(٤) في (أ): «وإما».

(٥) في (أ): «بشيء».

(٦) في (أ): «أكثر».

(٧) في (أ): «غيبته».

(٨) في (أ): «ولشغلك».

(٩) في (أ): «الأحياء».

(١٠) قال ابن أبي شيبة في كتاب الأدب (ص: ٣٦٤): حدثنا محمد بن فضيل، عن عاصم، قال:

ما سمعت الحسن يتمثل ببيت شعر قط إلا هذا البيت:

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

ثم قال: «صدق والله، إنه ليكون حياً وهو ميت القلب».

وقال في مصنفه (رقم: ٣٨٧٣٢-٣٨٧٣٣): «حدثنا وكيع، عن سفيان، عن حبيب، عن أبي الطفيل

قال: قيل لحذيفة: ما ميت الأحياء؟ قال: من لم يعرف المعروف بقلبه، وينكر المنكر بقلبه.

حدثنا وكيع، عن سفيان، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب، قال: قال عتريس

لعبد الله: هلك من لم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر، فقال عبد الله: بل هلك من لم

يعرف المعروف بقلبه وينكر المنكر بقلبه».

[البحر الخفيف]

واحذر<sup>(١)</sup> يا أخي الغيبة كحذر ك عظيم البلاء أن ينزل بك، فإن الغيبة إذا  
 ثبتت في القلب وأذن<sup>(٢)</sup> صاحبها لنفسه في احتمالها: لم ترض بسكنائها حتى  
 توسّع لإخوانها<sup>(٣)</sup>؛ وهي النَميمة، والبَغِي، وسُوء الظن، والبُهتان، والكِبَر، وما  
 احتملها لَيْبٌ ولا رَضِي بها حليم<sup>(٤)</sup>، ولا استصحبها وليُّ الله قط، فإننا لله وإنا  
 إليه راجعون.



(١) في (أ) كلمتان مطموستان لا يظهر من الأولى إلا الفاء والألف: «فا...».

(٢) في (أ): «فأذن».

(٣) في (أ): «لأخوانها».

(٤) في (أ): «حكيم».



### باب في التزین<sup>(١)</sup>

و<sup>(٢)</sup> رُوي عن عبد الله بن مسعود<sup>(٣)</sup> أنه قال: «العُقُولُ معادن للرَّائين، والعِلْمُ دلالةٌ على أعمال الطاعة<sup>(٤)</sup>، والمعرفة دلالة على آفات الأعمال، والبصائر دلالة على اختبار عواقب الأمور واختبار مواردها وتصريف مصادرها<sup>(٥)</sup>»

والتزین اسم لثلاثة<sup>(٦)</sup> معان: فمُتَزِّينٌ بعلم، ومُتَزِّينٌ بجهل، ومُتَزِّينٌ بترك التزین، وهو أعظمها فتنة، وأحبها إلى إبليس<sup>(٨)</sup>. /١٦/

واعلم أن الأساس الذي ينبغي للمُريد أن يبني عليه دينه: معرفته لنفسه<sup>(٩)</sup> وبزمانه وأهل زمانه.

فإذا عرف عيوب نفسه، وأراد مأخذًا يسلم به من شر نفسه<sup>(١٠)</sup> إن شاء الله: فليبدأ بالخلوة وإخمال النفس<sup>(١١)</sup>، فلعله حينئذ أن يُدرك بذلك الحزن في القلب والخوف الذي يحتجز به عما نهى الله عنه، والشَّوق الذي يُدرك به أمله من محبة الله، وإلا لم يزل متحيرًا متلذذاً متزیناً بالكلام، يأنس بمجالس

(١) في (و): «باب التزین»، وذكر فيها بعد أثر ابن مسعود.

(٢) «و» ساقط من (أ). (٣) «بن مسعود» ساقط من (و).

(٤) في (أ): «الطاعات».

(٥) قريب من هذا الكلام نسبه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢٨٧/٩) لأبي عبد الله أحمد بن عاصم الأنطاكي، وأورده الحارث بن أسد المحاسبي في كتاب فهم القرآن (٢٤٦-٢٦٦).

(٦) في (أ): «لثلاث».

(٧) «ومتزین» ساقط من (و). يُنظر حلية الأولياء لأبي نعيم (٢٨٧/٩).

(٨) نسب هذا الكلام أبو نعيم في حلية الأولياء (٢٨٧/٩) لأبي عبد الله أحمد بن عاصم الأنطاكي. (٩) في (أ): «بنفسه».

(١٠) «وأراد مأخذًا يسلم به من شر نفسه» ساقط من (أ).

(١١) في (أ): «نفسه».

الوحشة، ويثق بغير المأمون، ويطمئن إلى أهل الريب، ويحتمل أهل الميل إلى الدنيا، ويغتر بأهل الحرص والرغبة، ويتأسى بأهل الضعف، ويستريح إلى أهل الجهل، ميلاً منه إلى هواه إلى أن يفاجئه الموت وحلول الندم.

وإذا وجدت المريد المدعي للعمل والمعرفة يأنس بمن يعرف، ولا يهرب ممن لا يعرف، وينبسط، ويُمكن نفسه من الكلام بين ظهراي من يعرف: فاتهم حاله؛ إما ألا يكون صادقاً في إرادته، أو يكون جاهلاً بطريق / ١٦ ب/ سلامته، أو مغلوباً على عقله وعمله، مُستحوذاً عليه هواه، وما التوفيق إلا بالله العلي العظيم.

واعلم يا أخي علماً يقينا لا شك فيه، أننا لم نبْنِ أساس الدين على طلب السلامة فيه من الخطأ، ولا على حُسن السيرة منّا في الأخلاق والأدب<sup>(١)</sup>، ولكننا بنينا<sup>(٢)</sup> على أساس الهوى، وعلى ما خفَّ تحمله<sup>(٣)</sup> على قلوبنا، واستخفَّته أنفسنا، واستحلَّته ألسنتنا، فأمضينا فيه أعمالنا طمعا في الزيادة من التقوى بزعمنا، ودركنا<sup>(٤)</sup> لحسن السيرة منّا في الأخلاق والآداب فنظرنا بعد<sup>(٥)</sup>، فإذا قد رجع علينا أعمال آثار<sup>(٦)</sup> الهوى بالنقص من الزيادة في الدين، وتقبيح السيرة منّا في الأخلاق والآداب بنظرنا لأمر الدنيا والآخرة<sup>(٧)</sup>، فورثنا ذلك الخبَاء<sup>(٨)</sup>،

(١) في (أ): «والآداب».

(٢) في (أ): «ابتيناه».

(٣) في (أ): «محملة».

(٤) في (و): «وذكرنا».

(٥) في (أ): «بعيد».

(٦) في (أ): «إيثار».

(٧) «والآخرة» ساقط من (أ).

(٨) في (أ): «الخب». قال ابن فارس: «الخاء والباء والحرف المعتل والهمزة يدل على ستر

الشيء، فمن ذلك خبأت الشيء أخبؤه خبأ، والخبأة: الجارية تخبأ، ومن الباب الخباء؛ تقول: أخبيت إخباء، وخبيت، وتخبيت، كل ذلك إذا اتخذت خباء». مقاييس اللغة

(٢/ ٢٤٤)، مادة: خبأ.

والغش، والمداهنة، فصيرنا الغش والمداهنة<sup>(١)</sup> مدارةً، وصيرنا الخب<sup>(٢)</sup> عقولا وآداباً ومروءات، يحتمل بعضنا على ذلك بعضاً، فأعقبتنا ذلك تباغضاً، وتحاسداً، وتقاطعاً، وتدابراً، فتحاببنا بالألسن مع الرؤية، وتباينا بالقلوب مع فقد الرؤية، ندّم الدنيا بالألسن، ونميل إليها بالقلوب والجوارح، ونُدافعها عنا في الظاهر بالقول، / ١٧ / ونجرها بالأيد<sup>(٣)</sup> والأرجل في الباطن والظاهر، فأصبحنا مع قُبْح قبول<sup>(٤)</sup> هذا الوصف وسَمَاجَتِهِ لا نَسْتَأْهِلُ به خروجاً عن النقص ولا دخولاً في الزيادة، فإننا لله وإنا إليه راجعون، والله المستعان.

وأصبحنا لا نجد<sup>(٥)</sup> المرء صادقاً فتأسى<sup>(٦)</sup> به، ولا خائفاً فيلزمنا<sup>(٧)</sup> الخوف للزومه له<sup>(٨)</sup>، ولا محزوناً يعقل الحزن فبناكيه، فقد صرنا نتلاهى بفضول الكلام، ونأنس بمجالس الوحشة، ونقتدي بغير القدوة، مُصْرِّين على ذلك غير مقلِّعين ولا تائبين منه، ولا هاربين من مكر الاستدراج، فنعود بالله من التولي عن الله، والسُّقُوط عن عين الله، والتشاغل بغير الله.

إن الله جل ذكره أوجب على نفسه للطاعة ثواباً، وعلى المعصية عقاباً، فالثواب لا يجب للعبد على الله إلا من تصحيح العمل وتخليصه من الآفات، وتصحيح ذلك وتخليصه لا يتم إلا بالمعرفة والاعتزام على احتمال مؤنة تصحيح العمل، والاعتزام والاحتمال والصبر على العمل لا يكون إلا من بعد ثبات الخوف في القلب، والخوف لا يوجد إلا / ١٧ ب / من بعد<sup>(٩)</sup> ثبات اليقين في القلب، وثبات

(١) «فصيرنا الغش والمداهنة» ساقط من (و).

(٢) في الأصل: «الخب»، والخب: الخداع، مقاييس اللغة (٢/ ١٥٧)، مادة: خب.

(٣) في (أ): «بالأيدي». (٤) «قبول» ساقط من (و).

(٥) في (أ): «يجد». (٦) في (أ): «فيتأسى».

(٧) في (أ): «فيلزمه». (٨) «له» ساقط من (و).

(٩) «بعد» ساقط من (و).

اليقين في القلب<sup>(١)</sup> لا يكون إلا من صحة تركيب العقل<sup>(٢)</sup> في العبد.

فإذا صح تركيب العقل في العبد<sup>(٣)</sup> وثبت، وقع الخوف مما قد أيقن به، فجاءت عزيمة الصبر من غير تكلف، فاحتملت النفس حينئذ مؤنة العمل طمعا في ثواب ما قد أيقنت به، ورهبت عقاب ما قد أيقنت به<sup>(٤)</sup> على المعصية، فتركت المعصية والشهوة هربا من عقوبتها، واحتملت الطاعة بالإخلاص رجاء ثوابها، فكُلِّفَ الأحمقُ الكَيْسَ، ولم يُعذر على لزوم الحمق.

وكُلِّفَ الجاهل التعليم، ولم يعذر على غلبة الهوى.

وكُلِّفَ العالمُ<sup>(٥)</sup> الصدقَ والإخلاصَ والتَّيَقُّظَ في عمله<sup>(٦)</sup>، ولم يُعذر على الشهوة<sup>(٧)</sup> والغفلة، وترك الإخلاص فيه.

وكلف القائلُ الصَّدقَ في قوله، ولم يُعذر بالميل إلى الكذب.

وكلف العاملُ<sup>(٨)</sup> الصادقُ المخلصُ الصبرَ على ابتغاء تعجيل ثواب عمله في الدنيا من المخلوقين من حب الدنيا والتكرمة والتعظيم.

وعندها انقطع العمل<sup>(٩)</sup> خاصة، وحلَّ بهم الجزع، وتركوا عزيمة الصبر في طلبهم تعجيل ثواب أعمالهم، ولم يؤخروا ثواب الأعمال ليوم يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب، وخدعتهم الأنفس / ١٨ / الأماراة بالسوء عن ستر سرائر أعمالهم، حتى أبدوها<sup>(١٠)</sup> للمخلوقين بالمعاني والمعاريض في إظهار الأعمال

(١) في القلب «ساقط من (أ)».

(٢) «العقل» ساقط من (و).

(٣) في العبد «ساقط من (و)».

(٤) «ورهبت عقاب ما قد أيقنت به» ساقط من (و).

(٥) في (أ): «العامل».

(٦) في (و): «علمه».

(٧) في (أ): «الشهوات».

(٨) في (أ): «القائل».

(٩) في (أ): «العمال».

(١٠) في (أ): «أندوه».

ليُعرفوا بفضيلة العمل؛ ليزدادوا عند الناس فضيلة ورفعة، فتعجلت أنفسهم دخائر أعمالهم، وحلاوة سرائرهم بحُسن الثناء والتكرمة والتعظيم، ووطء الأعقاب والرياسة<sup>(١)</sup> والتوسع لهم في المجالس.

وأغفلوا المساءلة في عقدتهم لمن عملوا ولمن تزينوا، وثواب مَنْ أرادوا<sup>(٢)</sup> وماذا طلبوا، فخسروا أنفسهم و<sup>(٣)</sup> أعمالهم، وخسارة ما هنالك باقية، وندامة ما هنا طويلة، لمَّا وردوا على الله فوجدوا عظيم ما كانوا يُؤمِّلون من ثواب سرائر أعمالهم<sup>(٤)</sup> التي عالجوا فيها أنفسهم في الدنيا، فمتعوها هنالك؛ لأنهم كانوا قد تعجلوا ثوابها في الدنيا<sup>(٥)</sup> من المخلوقين، وخرجوا من خير أعمالهم صفراً<sup>(٦)</sup>، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ما أقبح الفضيحة بالعالم العامل البصير الناقد العارف عند قلة الصبر، وابتغاء تعجيل الثواب، والميل إلى الدنيا، وإيثار شهواتها ولذاتها.

فينبغي / ١٨ ب/ للعاقل الحازم اللبيب العالم العامل العارف البصير الناقد<sup>(٧)</sup> أن يحذر ذلك كله، ويتخذ الصبر مطيةً، ولا يبتغي<sup>(٨)</sup> تعجيل الثواب ها هنا، وما التوفيق إلا بالله العلي<sup>(٩)</sup> العظيم.



(١) في (أ): «الرياسات». (٢) «ولمن تزينوا، وثواب مَنْ أرادوا» ساقط من (أ).

(٣) «أنفسهم و» ساقط من (و). (٤) في (أ): «سرائرهم»، ويَعْدُه بياض بمقدر كلمة.

(٥) «في الدنيا» ساقط من (أ). (٦) في (و): «صبراً».

(٧) «الناقد» ساقط من (أ). (٨) في (أ): «يبتغي».

(٩) «العلي» ساقط من (أ).

### باب في الطمع

وانظر يا أخي: أن<sup>(١)</sup> لا تأذن لقلبك في استصحاب ما يعسر عليك طلبه، وتخاف إطفاء نور القلب من أجله، وكُنْ في تأليف ما بينك وبين الله محمود العاقبة، واقطع أسباب الطمع يستريح<sup>(٢)</sup> قلبك إلى عين<sup>(٣)</sup> الإياس، فإماتة<sup>(٤)</sup> الطمع يسد عنك سبيل الفقر، ويسكن قلبك عن الغنى، ويسقط عنك بذلك التشاغل عن المخلوقين<sup>(٥)</sup>.

واستجلب حلاوة الزهادة بقصر الأمل وقطعه، واطلب راحة البدن بإحجام القلب عن التشاغل برؤية المخلوقين، وتعرض لرقعة القلب بدوام مجالسة أهل الذكر من أهل العقول والمعرفة، وحسن الأدب، التاركين لفُصول الكلام، فإن بمجالسة هؤلاء يصفو القلب ويرق، ويُقدح فيه النور، وتجري فيه ينابيع الحكمة. وافتح باب دوام<sup>(٦)</sup> الحزن / ١٩ / إلى قلبك، واستفتح باب بطول الفكر، واستجلب الفكرة<sup>(٧)</sup> بالتوحش من الناس، فإن أبوابها في مواطن الخلوات، وتحرز من إبليس بالخوف الصادق، واستعن على ذلك بمخالفة هواك.

وإياك والرجاء الكاذب، فإن التوسع فيه ينزلك بمحلة المصيرين من أهل المكر والاستدراج.

وذلك أن للرجاء طرقاً تؤدي إلى الأمن والغفلة، وإياك أن تتخذ مَطِيَّةً لشيء من سفرك<sup>(٨)</sup>.

- |                             |                        |
|-----------------------------|------------------------|
| (١) «أن» ساقط من (و).       | (٢) في (أ): «فيستريح». |
| (٣) في (أ): «ويصير إلى عز». | (٤) في (و): «فإصانة».  |
| (٥) في (أ): «بالمخلوقين».   | (٦) في (أ): «دواعي».   |
| (٧) في (أ): «الفكر».        | (٨) في (أ): «لسفرك».   |

وتخلص يا<sup>(١)</sup> أخي إلى عظيم الشكر باستكثار قليل الرزق مع كثرة<sup>(٢)</sup> الرضا بذلك، واستقلل كثير الطاعة، واستجلب النعم بعظيم الشكر، واستدم عظيم الشكر بخوف زوال النعم، وأطلب لنفسك العز بإماتة الطمع، وأدفع ذل الطمع بعز الإياس، واستجلب عز الإياس ببعد الهمة، واستعن على بُعد الهمة بقصر الأمل.

وبادره باغتنام الصّحة<sup>(٣)</sup> عند إمكان الفرصة، خوّف فوات الإمكان، ولا إمكان<sup>(٤)</sup> كالأيام الخالية مع صحة الأبدان، واحذر «سوف»، فإن ما دونه يقطع بك عن بُغيتك.

وإياك / ١٩ ب / يا أخي<sup>(٥)</sup> والتفريط عند إمكان الفرصة، فإنه ميدان يجر لأهله الخسران.

وإياك والثقة بغير المأمون، فإن للشر ضراوة كضراوة الأسد<sup>(٦)</sup> الضاري، ولا مَحْمَل<sup>(٧)</sup> كطلب السلامة، ولا سلامة كسلامة القلب، ولا عمل كمخالفة الهوى، ولا مصيبة كمصيبة فَقْد<sup>(٨)</sup> العقل، ولا عدم كقِلَّة اليقين، ولا جهاد كجهاد النفس، ولا غلبة كغلبة الهوى، ولا قُوَّة كَرَد<sup>(٩)</sup> الغضب، ولا معصية كحُبِّ النفاق، وإن حُبِّ الدنيا كحُبِّ<sup>(١٠)</sup> النفاق، ولا طاعة كقصر الأمل، ولا ذلّ كالطمع<sup>(١١)</sup>.

(٢) في (أ): «كثير».

(١) في (أ): «أي».

(٤) في (أ): «والإمكان».

(٣) في (أ): «بانتهاز النعمة».

(٦) في (أ): «يجري».

(٥) «يا أخي» ساقط من (و).

(٨) في (أ): «ولا عمل».

(٧) في (أ): «الإناء».

(١٠) في (أ): «كردك».

(٩) «فقد» ساقط من (أ).

(١١) في (أ): «من حب».

(١٢) من قوله: وتعرض لرقّة القلب إلى هذا الموضع نقله أبو نعيم في حلية الأولياء (٩/ ٢٨٧)

عن أبي عبد الله أحمد بن عاصم الأنطاكي.

فوفقنا الله وإياك لما إليه دعانا، وأعاننا وإياك على اجتناب ما عنه نهانا، ولا  
حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.





## باب في الصدق

واعلم يا أخي علماً يقينا لا شك فيه: أن الصادق لا يكذب أهله، ولا يألوهم نصحا في الصدق<sup>(١)</sup> في ارتياده لهم، فإن أخاك من صدقك ونصحك وإن خالف صدقه ونصحه هوأك، وإن عدوك من كذبك وغشك وإن وافق ذلك هوأك.

واعلم يا أخي أني<sup>(٢)</sup> لما أطلت الفكرة، وصححت / ٢٠ / في ذلك النظر: علمت أن الله جل ثناؤه باري النسم، وولي النعم، ومالك النقم، لم يخلقني وإياك عبثاً، ولا هو<sup>(٣)</sup> تاركي وإياك سدى، فإن<sup>(٤)</sup> لي ولك ميعاداً<sup>(٥)</sup> نقف فيه بين يدي الملك الجبار للحكم بيننا وللفضل فينا، وأنه لم يخلقني وإياك حين خلقنا لهزل ولا للعب ولا لفناء دائم، وإنما خلقنا لبقاء الأبد ودوام النعم في جواره وجوار ملائكته وأنبيائه، أو في الشقاء الدائم للأبد.

فعاقل<sup>(٦)</sup> يتيقظ لما خلق له<sup>(٧)</sup>، مستعداً لما هو صائر إليه، فانتبه من رقده، وأفاق من سكرته، فعمل وحذر وأبصر، فزجر النفس عن دار الغرور، الخاذلة، الخاذعة<sup>(٨)</sup>، الزائلة التي قد ولت بخدعتها، وفتنت<sup>(٩)</sup> بغرورها، وتشوفت بحطامها، فلما عرفها العاقل الكيس حق / ٢٥ ب / معرفتها، زهد فيها، ورغب في دار البقاء والسرور، وتقرب إلى مالك الدار بجميع ما يحب، مما يطيق<sup>(١٠)</sup> التقرب به إليه ورَتَبَ ببابه، وأما المغتر بالدنيا المؤثر لهواه فيها فهو معتنقها.

(١) في الصدق ساقط من (أ).

(٢) «أني» ساقط من (و).

(٣) «ولا هو» ساقط من (و).

(٤) في (أ): «وأن».

(٥) في (أ): «معاذا».

(٦) في (و): «فعاقلا».

(٧) في (و): «خلق الله له».

(٨) في (و): «العاذلة».

(٩) في (أ): «وفيت».

(١٠) «مما يطيق» في (و): «ويحب».

أيها الميت عن قريب<sup>(١)</sup>، والمبعوث بعد موته إلى دار المقامة، والمسؤول عن إقباله وإدباره في دار الدنيا، الموقوف<sup>(٢)</sup> عن قليل بين يدي الملك الجبار الذي لا يجور؛ هل أعددت لذلك الموقف حجة تجاحش عنها<sup>(٣)</sup>، وأعددت للسؤال جواباً، فإن الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ الْأَنْذُرُ﴾ [القمر: ٤-٥].

وإياك يا أخي والنزول بمحلة المخدوعين.

واعلم أن نعم السيد الكريم كثيرة لا تحصى<sup>(٤)</sup>، وأن عطاياه كثيرة لا تجازي، وأن مواهبه<sup>(٥)</sup> كثيرة لا تكافي<sup>(٦)</sup>.



(١) في (و): «قليل».

(٢) في (و): «والموقف».

(٣) أي تدافع عنها. ينظر مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ٤٢٧)، مادة جحش.

(٤) قال تعالى: ﴿وَأِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨].

(٥) في (و): «ماهبه».

(٦) تتمه هذا الباب توجد في (و) في آخر باب في العقل.

باب الخلوة<sup>(١)</sup>

ثم نظرتُ في ذلك: فلم أر شيئاً أقرب إليه و<sup>(٢)</sup> لا أجمع لذلك كله من حماية النفس<sup>(٣)</sup> عن إلفها، وقطع مجاورة المخلوقين؛ بمنع القلوب عن الأخبار التي بها تهيج القلوب من الأشغال القواطع عن التفرُّغ للحزن<sup>(٤)</sup>، والبحث عن أمر الآخرة، والتَّرك للدنيا وما فيها، فورَّثه ذلك حُبُّ الخلواتِ، فأحبَّها ولزمها، وسرَّ بها، واستوحش من المخلوقين.

وذلك حين جرَّتْ عذوبة الخلوة في أعضائه كما يجري الماء في أصل الشجرة، فأورقتْ / ٢١ / أغصانها، وأثمرت عيdanها، ولزم خوف ما تجيء به القيامة سُويِّدَاء قَلْبِهِ، فهاج له من الخلوة فنون من أصول<sup>(٥)</sup> الزهد في الدنيا، حتى لو أنه اجتهد في فنٍّ منها على أن يستحكم له لعظمت عليه المؤنة، واشتدَّ عليه فيه الصَّلاحُ، فإذا بلغ الله بالعبد هذه الدَّرَجَة حُبِّتْ إليه الخلوة.

فأول ما يستفيد من حُب الخلوة: راحة للقلب من هموم<sup>(٦)</sup> الدنيا، وترك معاملة المخلوقين في الأخذ والعطاء، ومخرج ذلك كله<sup>(٧)</sup> من صحة العقل، فأسقط عن نفسه بالخلوات وجوبَ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومداينة المخلوقين، ويحبب إليه بالخلوة خمول النَّفس، وإخمال الذِّكر في الناس؛ وهو طريق الصِّدْق، ومنه يكون الإخلاص.

ويُحبَّب إليه بالخلوة الزهد في معرفة الناس، والأنس بالله، ويُوهب

(٢) «و» ساقط من (و).

(٤) «للحزن» ساقط من (و).

(٦) في (أ): «غموم».

(١) «باب الخلوة» ساقط من (أ).

(٣) في (أ): «الأنفس».

(٥) «من أصول» ساقط من (و).

(٧) «كله» ساقط من (و).

إليه<sup>(١)</sup> استئصال المخلوقين حتى يَفَرَّ منهم فراره من الأسد، وهو غير مفارق لجماعتهم.

وَيُعْطَى مِنْ حُبِّ الخلوة طول الصَّمْتِ من غير تكلفٍ، وغلبة هواه بالصبر، ومن الصَّمْتِ والصَّبْرِ غلبة الهوى.

وَيُعْطَى / ٢١ب / مِنْ حُبِّ الخلوة الاشتغال بأمر نفسه، وقِلَّةُ اشتغاله بذكر غيره، وطلب السلامة مما فيه الناس.

وَيُعْطَى بالخلوة كثرة الهموم والأحزان والفكر، وهذه الخصال من أفضل العبادة، ومخرجها من خالص الذكر.

وَيُعْطَى بالخلوة الأعمال التي تغيب عن عيون<sup>(٢)</sup> العباد، وتظهر لِرَبِّ العباد والبلاد، وقليل ذلك كثير، ومخرج ذلك من الصدق.

وَيُعْطَى بالخلوة التَّقَيُّظُ من غفلة أهل<sup>(٣)</sup> الدنيا، وما يذكر منها الخاص والعام.

وَيُعْطَى بالخلوة ترك الرِّياء والتَّزَيُّين، وكل ذلك من دواعي الإخلاص؛ وهو محض الصدق.

وَيُعْطَى بالخلوة قِلَّةُ<sup>(٤)</sup> المِرَاءِ وترك الخصومة<sup>(٥)</sup> والجدال، وذلك ينفي حبَّ الرِّياسة من القلب.

وَيُعْطَى بالخلوة قِلَّةُ الخُلْفِ في المواعيد، والتَّوَقُّي من الكذب والأيمان والحِنْثِ فيها، ومَخْرَج ذلك من الصدق.

(١) في (أ): «له».

(٢) في (أ): «أعين».

(٣) «أهل» ساقط من (و).

(٤) في (أ): «ترك».

(٥) ورد في (أ) بعد ذلك كلمة لم ننبينها لعلها «الجميع».

وَيُعْطَى بِالْخُلُوةِ قِلَّةَ الْغَضَبِ، وَالْقُوَّةَ عَلَى كَظْمِ الْغَيْظِ، وَتَرْكَ الْحِقْدِ  
وَالشَّحْنَاءِ<sup>(١)</sup>، وَمَعَامِلَةَ الْخَلْقِ بِسَلَامَةِ الصُّدُورِ.

وَيُعْطَى بِالْخُلُوةِ رِقَّةَ الْقَلْبِ وَالرَّحْمَةَ، وَهُمَا يَنْفِيَانِ / ١٢٢ / الْغِلْظَةَ وَالْقَسَاوَةَ،  
وَهُمَا مِنْ دَوَاعِي الْخَوْفِ.

وَيُعْطَى بِالْخُلُوةِ تَذَكُّرَ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِ، وَطَلِبَ الشُّكْرِ وَالزِّيَادَةِ.  
وَبِالْخَوْفِ الثَّابِتِ فِي الْقَلْبِ يَخْشَعُ الْعَبْدُ، وَيَبْكِي مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَالنَّارِ<sup>(٢)</sup>،  
وَهِيَ مِنْ غَايَاتِ الْعِبَادَةِ<sup>(٣)</sup>.

وَيُعْطَى بِالْخُلُوةِ وَجُودَ حَلَاوَةِ الْعَمَلِ، وَالنَّشَاطِ فِي<sup>(٤)</sup> الدَّعَاءِ، وَيَجْرِي ذَلِكَ  
مِنَ الْقَلْبِ مَعَ تَضَرُّعٍ وَاسْتِكَانَةٍ.

وَيُعْطَى بِالْخُلُوةِ الْقُنُوعَ وَالتَّوَكُّلَ وَالرِّضَا بِالْكَفَافِ؛ لِلْعَفَافِ وَالِاسْتِغْنَاءِ عَنِ  
الْمَخْلُوقِينَ<sup>(٥)</sup>.

وَيُعْطَى بِالْخُلُوةِ عُزُوفَ النَّفْسِ عَنِ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا وَفَتْنَتِهَا<sup>(٦)</sup>، وَالشُّوقَ إِلَى  
لِقَاءِ اللَّهِ، وَمَخْرَجَ ذَلِكَ مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ، وَخَوْفِ التَّقْصِيرِ فِي الْعَمَلِ.

وَيُعْطَى بِالْخُلُوةِ حَيَاةَ الْقَلْبِ، وَضِيَاءَ نُورِهِ، وَنَفَازَ بَصَرِهِ فِي عِيُوبِ الدُّنْيَا،  
وَمَعْرِفَتِهِ بِالنَّقْصِ وَالزِّيَادَةِ فِي دِينِهِ.

(١) فِي (و): «الشَّحْنَى». (٢) فِي (أ): «وَالنَّهَارُ» وَصَحَّحَتْ فِي الْهَامِشِ.

(٣) «بِالْخَوْفِ الثَّابِتِ ... مِنَ الْعِبَادَةِ» سَاقَطَ مِنْ (و)، وَتَكَرَّرَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ فِي (أ) الْجُمْلَةُ السَّابِقَةُ  
لِهَذِهِ الْفَقْرَةِ حَيْثُ وَرَدَ فِيهِ: «وَيُعْطَى بِالْخُلُوةِ تَذَكُّرَ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ ... وَالزِّيَادَةِ مِنَ الطَّاعَةِ».

(٤) فِي (و): «و».

(٥) «وَيُعْطَى بِالْخُلُوةِ الْقُنُوعَ ... الْمَخْلُوقِينَ» سَاقَطَ مِنْ (و).

(٦) فِي (أ): «وَفَتْنَهَا».

وَيُعْطَى بِالْخُلُوةِ الْإِنْصَافَ لِلنَّاسِ مِنْ نَفْسِهِ.

وَيُعْطَى بِالْخُلُوةِ خَوْفٌ وَرُودُ الْفِتَنِ الَّتِي فِيهَا ذَهَابُ الدِّينِ، وَالْإِشْتِيَاقُ إِلَى الْمَوْتِ، وَالْأُنْسُ بِكَلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَهُوَ الْقُرْآنُ؛ لِمَا قَدْ وَجَدَ مِنْ حَلَاوَةِ الْمُنَاجَاةِ، وَالْقُرْآنُ هُوَ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ نُورًا وَشِفَاءً لِلْمُؤْمِنِينَ<sup>(١)</sup>،<sup>(٢)</sup>.

فَإِذَا التَّبَسَّ عَلَيْكَ الطَّرِيقُ<sup>(٣)</sup>، وَاشْتَبَهَتْ عَلَيْكَ الْأُمُورُ، فَأَوْقَفْتَ<sup>(٤)</sup> نَفْسَكَ عَلَى دَلَالَةٍ<sup>(٥)</sup> مِنَ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ وَالتَّشْوِيقِ / ٢٢ب / إِلَى مَا نَدَبَ اللَّهُ إِلَيْهِ الْمُؤْمِنِينَ: فَإِنَّكَ تَرْجِعُ بَصِيرًا مِنْ عِبْرَتِكَ<sup>(٦)</sup>، وَعَالِمًا مِنْ جَهَالَتِكَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

وَانْظُرْ إِلَى كُلِّ مَوْطِنٍ يَضْطَرُّكَ إِلَى الصَّبْرِ فَاهْرُبْ مِنْهُ، فَإِنَّكَ تَعْجِزُ عَنِ الْقِيَامِ بِهِ.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَثْبُتُ لَكَ قَدَمٌ عَلَى مَحَجَّةٍ دِينٍ وَفِيكَ خَوْفَانُ:

خَوْفُ<sup>(٧)</sup> الْفَقْرِ مَعَ الْغِنَى وَالثَّرْوَةِ: فَإِنْ فِي<sup>(٨)</sup> ذَلِكَ مِفْتَاحُ فَقْرٍ أَبَدٍ<sup>(٩)</sup>.

(١) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الْإِسْرَاءُ: ٨٢].

(٢) هَذَا الْبَابُ كُلُّهُ مِنْ كَلَامِ نَصْرِ بْنِ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ كَمَا جَاءَ أَلْفَاظُ مُتَقَارِبَةٍ فِي كِتَابِ الْعِزْلَةِ وَالْأَنْفِرَادِ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا (٧٨-٨٠).

(٣) فِي (أ): «طَرِيقٌ».

(٤) فِي (أ): «دَلَالَتُهُ».

(٥) فِي (أ): «حَيْرَتِكَ».

(٦) فِي (و): «فَإِنْ».

(٧) فِي (أ): «فَإِنْ سَاقَطَ مِنْ (و)».

(٨) كَذَا فِي الْأَصُولِ الْخَطِيئَةِ، وَفِي كِتَابِ بَهْجَةِ النُّفُوسِ (٢/ ١٥٠-١٥١): «قَالَ يَمْنُ بَرَزُقُ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَا يَثْبُتُ لَكَ قَدَمٌ فِي مَحَجَّةٍ وَفِي قَلْبِكَ: خَوْفُ الْفَقْرِ أَوْ الْغِنَى وَحُبُّ الْمَنْزِلَةِ وَالرِّيَاسَةِ، فَذَلِكَ مِفْتَاحُ فَقْرِ الْأَبَدِ»، وَقَرِيبٌ مِنْهُ مَا نَقَلَهُ ابْنُ الْحَاجِّ عَنْ يَمْنُ بْنِ رَزُقٍ فِي كِتَابِ الْمَدْخَلِ (٣/ ٨١) حَيْثُ قَالَ: «وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَثْبُتُ لَكَ قَدَمٌ عَلَى مَحَجَّةٍ دِينِ اللَّهِ، وَفِيكَ خَوْفَانُ: خَوْفُ الْفَقْرِ، وَخَوْفُ الْغِنَى وَالثَّرْوَةِ؛ فَإِنْ ذَلِكَ مِفْتَاحُ فَقْرِ الْأَبَدِ».

وخوفك للسقوط من أغين الناس: يُسقطك من عين الله، ويُنسبك حظك منه. فادراً ذلك عنك، واطلب التخلص، واعدد لذلك خوفين: خوفاً أن مثلك لا يستأهل أن يبلغ ما يأمل<sup>(١)</sup> من الآخرة، فإن تفضل عليك ببلوغ أملك من الآخرة، فأتبعه الشكر، ولتحضره خوفاً شديداً أنك لا تقوم بالشكر بما<sup>(٢)</sup> أنعم به عليك كما ينبغي، فإن لم تفعل ذلك خفتُ عليك أن تُسلب النعمة، وترجع إلى أسوأ حالك.

فإذا ألزم العبد نفسه هذين الخوفين<sup>(٣)</sup>، وتمسك بهما: رجوت أن يؤمنه الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقد روي عن بعض العلماء / ٢٣ / بالله أنه قال: «لست آمنُ على نفسي الفتنة، وأن يُحال بيني وبين الإسلام»<sup>(٤)</sup>، فهو لاء يخافون هذا وهم الصفوة الذين اختارهم الله تعالى لنبيه ﷺ، خافوا مع سابقتهم وطاعتهم وجهادهم مع رسول الله ﷺ، أن يهجم عليهم أقل مما أنت فيه من الفتنة، فيحول ذلك بينهم وبين ما كانوا يعرفون.

(١) في (أ): «يؤمل».

(٢) في (أ): «لما».

(٣) في (أ): «الخلقين».

(٤) أخرج ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين (رقم: ١٣٥) عن عيينة بن عبد الرحمن قال: حدثني أبي: أن أبا بكر لما اشتكى عرض عليه بنوه أن يأتوه بطبيب، فأبى، فلما ثقل وعرف الموت من نفسه وعرفوه منه قال: أين طبيبكُم ليردها إن كان صادقا؟ قالوا: وما يغني الآن؟ قال: ولا قبل، قال: فجاءت ابنته أمة الله، فلما رأت ما به بكت، فقال: أي بنية، لا تبكي، قالت: يا أبتاه، فإن لم أهلك عليك فعلى من أبكي؟ قال: لا تبكي، فوالذي نفسي بيده، ما في الأرض نفس أحب إلي أن تكون خرجت من نفسي هذه، ولا نفس هذا الذباب الطائر، ثم أقبل على حمران - وهو عند رأسه - فقال: ألا أخبرك لماذا أخشيت؟ والله إن أمر فيحول بيني وبين الإسلام.

وذكر عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى أنه قال: «قل لأهل محبتي يشتغلون بي، فإذا علمت أن الغالب على قلوبهم الاشتغال بي<sup>(١)</sup> والانقطاع إليّ، كان حقيقا علي أن أرفع الحجب بيني وبينهم، فينظرون إليّ بأبصار قلوبهم، فهم يتنعمون بذكري، قد أغناهم عن كل نعيم من نعيم الدنيا والآخرة، قد ملأ الله قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم وجوارحهم من حبه، فأدّبوا أنفسهم بالعبودية والدخول في محبته».

وذلك أن تأديب الرجل نفسه في مَطْعَمِهِ ومَلْبَسِهِ يزيد في صلاح قلبه، وتنقاد جوارحه لقلبه، ويقوى عزمه، ويقهر هواه، فيقوم / ٢٣ ب/ عند<sup>(٢)</sup> ذلك مقام أهل القوة إلى أن يرفعه الله إلى منزلة فوقها، حتى يستوي عندهم الأخذ والترك، فلا يأسفوا على ما فاتهم، ولا يفرحوا بما آتاهم؛ للغنى الذي وقر في قلوبهم، فهم<sup>(٣)</sup> يزدادون له محبة ومودة وشكرا له<sup>(٤)</sup> في العلم<sup>(٥)</sup> به والمعرفة له<sup>(٦)</sup>، فعند ذلك رقت قلوبهم، وانقادت أهواؤهم إلى ما قلّ من الدنيا وكفى، لا تطلع إلى غير ذلك، ناظرين إلى ربهم في أمورهم كلّها، لا إلى الأسباب نظرهم<sup>(٧)</sup> من غير تفريط في إقامة الأسباب الخالصة من أعمال البر، فإن لبسوا خشنا أو لينا، أو حسنا أو قبيحا، أو أكلوا طيبا أو كريها، أو حلّوا أو مرّا<sup>(٨)</sup> أو حامضا، أو قليلا أو كثيرا: لم يتغير<sup>(٩)</sup> ذلك من قلوبهم عن<sup>(١٠)</sup> الحال التي هم<sup>(١١)</sup> عليها من ذكر ربهم وتعظيمه.

(٢) «عند» ساقط من (و).

(٤) «له» ساقط من (و).

(٦) في (أ): «به».

(٨) «أو مرّا» ساقط من (و).

(١٠) في (أ): «على».

(١) في (و): «في».

(٣) «فهم» ساقط من (أ).

(٥) في (و): «بالعلم».

(٧) في (و): «نظرا».

(٩) في (و): «يغير».

(١١) في (أ): «هي».



وذلك أنَّ قلوبهم عامرة من ذُكر الخالق، وليس لشيء سواه في قلوبهم ثبت إلا بالخاطر من غير أن يرسخ أو يثبت، فلم يقيموا بين<sup>(١)</sup> الناس مقاماً أشرف من أن يعلّقوا قلوبهم بربهم، ولا أولى بهم من ذلك؛ لأنهم أشد الناس محافظة على جميع همومهم في صلاتهم، وجميع ما يتقربون / ١٢٤ / به من ربهم؛ إن قاموا عرفوا بين يدي من هم قيام [له]<sup>(٢)</sup>، وكذلك إن ركعوا وسجدوا، أو تلوا القرآن أو دعوا ربهم، لا تعزب قلوبهم عن ذلك، فيه زكّت أعمالهم وصُوبت قلوبهم<sup>(٣)</sup>، فهو يتعاهدهم بلطفه ويسوسهم بتوفيقه، فقلّ عند ذلك خطؤهم، وكثُر صوابهم. فمن كان يريد الدخول في محبة طاعة<sup>(٤)</sup> الله فلا يكون<sup>(٥)</sup> له ثقة إلا الله، ولا غنى إلا به، ولا أمل غيره يرجوه، ويتخذة وكيلًا في أموره كلّها، راضياً بقضائه فيما نقله إليه من أمره، راضياً باختيار الله له، متهما لرأيه ولمّا تهواه نفسه، مُسلّماً راضياً عن الله، غير مُتَجَبّر ولا مُتَمَلِّك فيما أحدث الله له من حلاوة الإيمان.

فكيف بك يا مسكين لا سابقة لك إلا في الشر، ولا حلاوة عرفتها قديماً بحق<sup>(٦)</sup> الإسلام إلا حلاوة المعاصي، و<sup>(٧)</sup> أنت بَارِك في دولة الفتنة وزمان الشر تحب البقاء طمعاً في الزيادة، وأنت مع ذلك لا تنقم<sup>(٨)</sup> عليها حُبّها، فخدعتك وأنت لا تعلم أنك مخدوع.

واعلم أن المطيع إذا كان غير عالم بما يلزمه من الطاعة في عبادة ربه، ولا عارف / ٢٤ب / بمكايدة عدوّه: هَانَتْ على إبليس صرعتُه؛ لأنه ليس نوعٌ من

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) «طاعة» ساقط من (و).

(٦) في (أ): «من».

(٨) في (و): «تنعم».

(١) في (أ): «فلم يقم».

(٣) في (أ): «عقولهم».

(٥) في (أ): «يكن».

(٧) «و» ساقط من (و).

العبادة إلا ولها ضدٌّ من الفتنة، فمن لم يعرف الخير وضده من الشر، ولا سيما من<sup>(١)</sup> العبادة خاصة، ثم اجتهد: خلاه<sup>(٢)</sup> إبليس وإياها؛ لما يعلم من قلة علمه بعبادته وما يجب عليه فيها، ولم يعرض له في نفس عبادته بشيء، ويقصد له قصد آفتها التي تبطل عبادته من شهوة النفوس التي تسارع في قبول ذلك، فتزين<sup>(٣)</sup> عنده أن ذلك من خير عندها، وأنه سيُجزى ويثاب، فيصدقها بما تلقى إليه من ذلك، فتزهو النفس<sup>(٤)</sup> لرضا صاحبها عنها، ويحقق إبليس ظنه به وبالخداع له، فإذا قد صرع وخذل ووكل<sup>(٥)</sup> إلى نفسه بميله عن طريق الشكر، ويظهر له من فتنة عدوه ما يستصغر به المخلوقين، وتكون نفسه عنده أنه لا عدل لها زكاة<sup>(٦)</sup> وطيبا، وهي أخبت الأنفس وأنتنها وأسقطها من عين الله تعالى.

فكلما سولت له نفسه من عمل احتمل فيه الأذى مع مساعدته إياها، وشدة رضاه عنها من تحمّل لبس الخشن، وأكل الجشم<sup>(٧)</sup>، وطول السهر، والصبر على ظاهر العبادة بما<sup>(٨)</sup> يفتتن به النوكي<sup>(٩)</sup>، ويستميل / ٢٥ / به إبليس قلوب الجُهاال. ولقد قال بعض الحكماء: «إني لأعدُّ بعض<sup>(١٠)</sup> كلامي فيما لا بدَّ لي منه مصيبة واقعة أستعين الله على السلامة منها، وإني لأعدُّ صمتي عما لا يعنيني

(١) في (أ): «في».

(٢) في (و): «خلاوة».

(٣) في (أ): «فيتزين».

(٤) في (أ): «النفوس».

(٥) في (أ): «ولجأ».

(٦) في (أ): «زكاة».

(٧) في (و): «الحشب»، في المدخل لابن الحاج (٨٢/٣): «وأكل الطعام الجشيم»، والجشم:

حبة سوداء شبيهة بحبة العدس الصلبة، تكملة المعاجم العربية (٣٠٤/٦).

(٨) في (أ): «ما».

(٩) في (و): «النوك»، قال ابن فارس: «النون والواو والكاف كلمة واحدة، هي النواكة والنوكُ

وهي الحُمق، ورجل أنوك ومُستَنوك، وهم نوكي»، مقاييس اللغة (٣٧٢/٥)، مادة: «نوك».

(١٠) «بعض» ساقط من (أ).

غُنْماً وإحداث نِعْمَةٍ أَلْتَمَسُ الشُّكْرَ عَلَيْهَا؛ إِذْ<sup>(١)</sup> عَلِمْتُ أَنَّ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ كَلِمَةٍ رَقِيباً عَتِيداً<sup>(٢)</sup>، وَأُنْزِلُ مَا اضْطُرَّرْتُ<sup>(٣)</sup> إِلَيْهِ مِنَ الْقَوْلِ مَصِيبَةً نَازِلَةً، وَمَا كُفَيْتُ مِنَ الْكَلَامِ غَنِيمَةً بَارِدَةً<sup>(٤)</sup>.

وَيُرَوَّى عَنْ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ أَنَّهُ قَالَ<sup>(٥)</sup>: «إِنَّ مِنْ شَرِّ مَكْسَبَةِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا تَنْقُصَ الْعَبْدَ غَيْرَهُ وَالْوَقِيعَةَ فِيهِ؛ وَهِيَ الْغَيْبَةُ».

وَيُقَالُ: «إِنَّهَا تُفْطِرُ الصَّائِمَ، وَتَنْقُضُ الْوَضُوءَ، وَتُحْبِطُ الْأَعْمَالَ، وَيَسْتَوْجِبُ بِهَا صَاحِبُهَا الْمَقْتَّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى»<sup>(٦)</sup>.

وَالْغَيْبَةُ وَالنَّمِيمَةُ مَخْرَجُهُمَا مِنْ طَرِيقِ الْبَغْيِ، وَالنَّمَامُ قَاتِلٌ، وَالْمُغْتَابُ آكِلٌ مَيْتَةٌ، وَالْمُبَاهِي مُتَكَبِّرٌ، وَهَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ أَمْرُهُمْ وَاحِدٌ؛ بَعْضُهَا مِفْتَاحُ لِبَعْضٍ، وَذَلِكَ كُلُّهُ مَجَانِبٌ لِأَحْوَالِ الْمُتَّقِينَ<sup>(٧)</sup>.



(١) فِي (و): «إِذَا».

(٢) قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

(٣) فِي (و): «اضْطُرْتُ».

(٤) فِي (و) بَعْدَ هَذَا مَبَاشَرَةٌ عَنَّا مَوْسُومٌ بِ«بَابِ الْغَيْبَةِ».

(٥) «أَنَّهُ قَالَ» سَاقَطَ مِنْ (و).

(٦) الْكَلَامُ نَفْسُهُ فِي حَلِيَّةِ الْأَوْلِيَاءِ (٩/ ٢٩١)، وَبَعْضُهُ فِي قُوَّةِ الْقُلُوبِ لِمَكِّي بْنِ أَبِي طَالِبٍ

الْقَيْسِيِّ (٢/ ١٨٩)، وَالدَّرِيعَةُ إِلَى مَكَارِمِ الشَّرِيعَةِ (٢٠٠).

(٧) «آكِلٌ مَيْتَةٌ ... لِأَحْوَالِ الْمُتَّقِينَ»: هَذَا الْكَلَامُ مَذْكُورٌ فِي (و) فِي بَابِ الْحَزَنِ.

### باب في العقل<sup>(١)</sup>

واعلم يا أخي أني لم أرَ نعمة متقدمة من الله عزَّجَلْ لخلقه أفضل من نعمة العقول؛ التي جعلها الله دلالة لخلقه على معرفته، والوصول بها إلى محض الإيمان به<sup>(٢)</sup>، والذي أطلعهم الله به على مكنون علمه حتى ورثوا / ٢٦ / البصائر، ونفوا به خاطر الشك، وكابدوا وساوس الشيطان ومعارض فتنه، واستضاءوا<sup>(٣)</sup> بنور العقول<sup>(٤)</sup> في طريق حيرتهم فتجنبوها، وخرجوا من ظلم الشك، واعتقدوا بها معرفة الله عزَّجَلْ، والإيمان به، والإخلاص، والتوحيد، وأفردوا الله جل ثناؤه<sup>(٥)</sup> وتقدَّست أسماؤه بالربوبية، والعظمة، والكبرياء.

واعلم أن أهل اللب استدلوا به<sup>(٦)</sup> على خلق أنفسهم، وعلى خلق الخلق كلَّهم أنهم موسومون بِسِمَةِ الْفِطْرَةِ، وآثار<sup>(٧)</sup> الصَّنْعَةِ، والنقص والزيادة مع تغيير الأحوال.

فأول ابتداء الله لهم: أن وهبَ لهم العقول التي بها وصلوا إلى الإيمان به، وبالإيمان به<sup>(٨)</sup> وصلوا إلى نور اليقين، وبنور اليقين وصلوا إلى خالص التفكير، وبخالص التفكير وصلوا إلى استقامة القلوب، وباستقامة القلوب وصلوا إلى الصِّدْق في الأعمال وإخلاصها لله عزَّجَلْ، فورثهم ذلك البصائر في قلوبهم، فوضحت الحكمة في صدورهم، وجرت ينابيعها على ألسنتهم، فهجموا بفطن قلوبهم على غوامض الغيوب بالإرادة والإخلاص / ٢٦ ب / الذي رُكِّبَ فيهم.

(١) «باب في العقل» ساقط من (أ).

(٢) «به و» ساقط من (و).

(٤) في (أ): «العقل».

(٣) في (أ): «واستضاءوا».

(٦) «به» ساقط من (و).

(٥) في (أ): «جَلَّالَهُ».

(٨) «به» ساقط من (و).

(٧) في (أ): «وإيثار».

وأدرکوا بصفاء نيتهم غوامض<sup>(١)</sup> الفهم، وأدرکوا بغامض<sup>(٢)</sup> فهمهم العلم المحجوب، فعرفوا الله حق معرفته، وتوكلوا عليه حق توكله، وسلموا لله الخلق والأمر، فصارت قلوبهم معادن لصفاء<sup>(٣)</sup> اليقين، وبيوتا للمعرفة<sup>(٤)</sup>، وتوايت للعظمة<sup>(٥)</sup>، وخزائن للقدرة، وينايع للحكمة.

فَهُمْ بَيْنَ الْخَلَائِقِ مُقْبِلُونَ<sup>(٦)</sup> ومدبرون، وقلوبهم تجول في الملكوت، وتلذذوا بحجب الغيوب<sup>(٧)</sup>، وتخطر في طرقات الجنان قلوبهم، فالحمد لله الذي لا إله إلا هو العلي<sup>(٨)</sup> العظيم الذي مَنَ والاه نعمه أغناه<sup>(٩)</sup>.

واعلم يا أخي: أن من صدق الله أوصله إلى الجَولان في ملكوت السماوات بقلبه، ثم يرجع إليه بطرف ما قد أفاده<sup>(١٠)</sup> السيد الكريم، فصار قلبه وعاء لخير لا ينفد، وعجائب فكر لا تنقضي، ومعادن جواهر لا تفنى، وبُحُور حكمة لا تنزح أبدًا، ومع ذلك ملك<sup>(١١)</sup> الجوارح والأبدان.

واعلم يا أخي أن في ابن آدم مضغة إن صلحت صلح سائر جسده، وإن فسدت فسدت سائر جسده، / ٢٧ / وهي القلب<sup>(١٢)</sup>.

(١) في (أ): «يقينهم غائص».

(٢) في (أ): «بغائص».

(٣) في (و): «معادين صفاء».

(٤) في (أ): «بيوتا للحكمة»، دون واو العطف.

(٥) في (أ): «للعظمة».

(٦) في (و): «مقبولون».

(٧) في (أ): «بمحجوب القلوب»، وفي هامشها: (خ: الغيوب).

(٨) «العلي» ساقط من (أ).

(٩) في (أ): «وأغناه».

(١٠) في (و): «أفاده».

(١١) في (أ): «ملوك».

(١٢) أخرج البخاري في صحيحه (رقم: ٥٢) واللفظ له، ومسلم في صحيحه (رقم: ١٥٩٩) عن

النعمان بن بشير، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الْحَلَالُ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنٌ، وَبَيْنَهُمَا

مُشَبَّهَاتٌ، لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ

فِي الشُّبُهَاتِ كَرَّاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا إِنَّ =

واعلم أنه لن يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولسانه، ومن أجل ذلك صار القلب واللسان ملكي البدن والجوارح، وهي القائمة على سياسة الأبدان والجوارح<sup>(١)</sup>، والقلب هو المسلط على استخدامهم، وذلك أنه معدن العقل والعلم والعناية، فجميع الخير والشر مُستودع القلب.

واعلم يا أخي أني وجدت اللسان مُترجماً عن القلب إرادته، وذخائر بصائره، ووجدت الذكر جلاءً صداماً للقلوب، وتيقظاً من سِنَّة الغفلة<sup>(٢)</sup>.



= حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ.

(١) «وهي القائمة على سياسة الأبدان والجوارح» ساقط من (و).

(٢) في (أ): «من وسن الأقيدة».

### باب في الشُّكر<sup>(١)</sup>

واعلم أني وجدتُ الشُّكر على من اختصه الله بتدبير<sup>(٢)</sup> العقل أكثر، والحجة عليه أوكد<sup>(٣)</sup>، فمن ها هنا ألزم الحجة، وانقطعت المعاذير مع الإعذار والإنذار، والله<sup>(٤)</sup> الحجة البالغة علينا، وعلى أهل العقول من خلقه، وما نعرف<sup>(٥)</sup> أحدا أوتي إلا من قِبَل تضييع الشكر؛ لأنه ليس من ولد آدم أحدٌ إلا وهو مختص بنعمة العقل إلا قليل.

فمنهم من كثر له وأكثر<sup>(٦)</sup> الشكر عليه.

ومنهم من أُعطي من العقل دُون [ذلك]، فشكر الله على قليل ما أُعطي، فزاده الله حتى علا / ٢٧ ب / في درجة العقل.

ومنهم من كفر النِّعمة فلم يأخذها بشكر، فنقص عن درجته؛ غير أن العبد قد أعظم الله عليه النعمة في العقل<sup>(٧)</sup>، فينبغي أن يكون شكره<sup>(٨)</sup> على قَدْر عظيم النِّعمة عليه.



(١) في (أ): «باب في العقل»، وقد مر هذا الباب من قبل.

(٢) في (أ): «بتوفير».

(٣) في (أ): «أكد».

(٤) في (أ): «فلله».

(٥) في (أ): «حُثي له وأحُثي».

(٦) «ومنهم من كفر النِّعمة فلم يأخذها بشكر، فنقص عن درجته؛ غير أن العبد قد أعظم الله عليه

النِّعمة في العقل»، ساقط من (و).

(٨) في (أ): «شكرها».

## باب في العقل والهوى

واعلم أن العقل والهوى ضدان، مركبان في العبد كتركيب الجوارح، وهما يعتركان في قلب ابن آدم، فأيهما غلب استعلى على صاحبه واستولى على العبد، وكانت<sup>(١)</sup> أعماله كلها بالمستولى عليه، وكان<sup>(٢)</sup> له تبعاً، فشكر العبد إذا كان ذلك لله على نعمة عقله أن يتبع دلالة عمله وعقله، فيؤثر دلالتهما وما يدعون إليه على هوى نفسه.

واعلم أن الأمر عظيم على قدر ما أرى من غلبة الهوى علينا، واستمكان الدنيا من قلوب علمائنا وجُهلانا، فلمّا كان ذلك منا كذلك، عزّ وجود الصدق على كثرة وجود معرفته ووضفه، وقَلَّ العمل به والقيام بحقه، وقد فشا الكذب، وكثر الرياء، والتّزّين للدنيا، وسلوك أودية الهوى، ونزول أودية الغفلة، ولا يؤمن السّبيل أن يركب على تلك الغفلة فتقلب<sup>(٣)</sup> النفس / ٢٨ / .

وأرى<sup>(٤)</sup> الهوى قد قام مقام الحق، يُعمل به، ويُقضى بقضائه، ويُحكم بحكمه، وقام سوء الأدب والمكر والخديعة مقام العقول، وقامت المداينة مقام المداراة، وقام الغش مقام النّصح، وقام الكذب والتّزّين مقام الصدق، وقام الرياء مقام الإخلاص، وقام الشك مقام اليقين، وقامت التّهمة مقام الثقة، وقام الأمن مقام الخوف، وقام الجزع مقام الصّبر، وقام السُّخط مقام الرّضا، وقام الجهل مقام العلم، وقامت الخيانة مقام الأمانة، فصار من قلة الأكياس لا يُعرف الحمقى<sup>(٥)</sup>، ومن قلة أهل الصدق لا يُعرف أهل الكذب، إلا عند أهل الفهم والعقل والبصيرة.

(١) في (أ): «فكانت».

(٢) في (أ): «فكان».

(٣) في (أ): «فتلف».

(٤) في (أ): «وإن».

(٥) نقله عنه ابن أبي جمرة في شرح حديث «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً» في كتابه بهجة النفوس

(١ / ١٤٤) بلفظ: «لقلة العقلاء لم نعرف الحمقى».



فاعتدل الناس في قُبْح السَّيرة، وقِلَّة الاستقامة في أمور الآخرة، إلا مَنْ عصم الله، فأصبحنا وقد حِيل بيننا وبين الخروج من النقص الذي نكرهه من أنفسنا، وحِيل بيننا وبين أن ندخل في الزَّيادة التي تحبها أنفسنا<sup>(١)</sup>، عُقوبة [لقبح] الإصرار، فَجَرِينَا في ميدان الجهل، وغَلَب علينا سُكْر حُبِّ الدنيا، فنحن نستبق في هذين / ٢٨ب / الشَّيئين، ونتنافس في الاستكثار منهما.

فصح عندي: أن من الجهل بأمر الله والاعتذار به القيام على هذه الجهالة<sup>(٢)</sup>، والسلامة منها - أيسر<sup>(٣)</sup> وأقرب رشدًا - وهو أن يكون<sup>(٤)</sup> المرء في البلد الذي لا يُعرف فيه، والتخلص إلى إخمالات الذكر أينما كان، وطول الصمت، وقِلَّة المخالطة للناس، والاعتصام بالله، والعُصُّ على الكسر اليابسة، وما دُنُو من اللباس ما لم يكن<sup>(٥)</sup> مشهورا، والتمسك بالقرآن، والصبر على الشدائد، وانتظار الفرج<sup>(٦)</sup>.

واعلم أني قد نظرتُ ببحث النفس وعناء لها: فوجدت<sup>(٧)</sup> غفلتنا عظيمة، وخطرنا عظيما<sup>(٨)</sup>، والغفلة على<sup>(٩)</sup> الخطر أعظم من الخطر؛ لأنه إنما يَعْظُم الخطر عند أولي العقول، فكلما عَظُم الخطر، وعلمت أنه عظيم، وكنت من أهل البصيرة: حرَّك عظيم الخطر، فانتقلت من عظيم الغفلة إلى حال التيقظ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



- 
- |                              |  |
|------------------------------|--|
| (١) في (أ): «نحبها لأنفسنا». | (٢) في (أ): «الحال».                               |
| (٣) «أيسر» ساقط من (و).      | (٤) «يكون» ساقط من (و).                            |
| (٥) «يكن» ساقط من (و).       | (٦) يُنظر حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩ / ٢٧٥). |
| (٧) في (أ): «فوجدت» بالخاء.  | (٨) في (أ): «عظيم» بالرفع.                         |
| (٩) في (و): «على».           |  |

## باب في<sup>(١)</sup> الرياء

وقال بعض الحكماء<sup>(٢)</sup>: إن الشيطان يأتي ابن آدم من قبل المعاصي، فإن امتنع منه أتاه من وجه النصيحة ليستدرجه، / ٢٩ / فلا يزال به حتى يُلقيه في بدعته، فإن امتنع عليه أمره بالتحرج والشدة؛ ليحرم حلالاً أو يحل حراماً، فإن امتنع عليه أتاه من قبل الوضوء فيشككه في وضوئه وصلاته وصيامه، حتى يعتقد بهواه أمراً يفضل فيه عن السبيل، ويدع العلم، فإذا قدر منه على شيء من ذلك خلى بينه وبين العبادة، والزهد، وقيام الليل، والصدقة، وكل أعمال البر، ويخفف ذلك عليه، وربما كابده الشيطان من المردة فيقول له إبليس: دعه لا تصده عما يريد، فإنما بأمرى يعمل<sup>(٣)</sup>.

وإذا<sup>(٤)</sup> نظر إليه الناس في عبادته، وزهده، وصبره، ورضاه بالذل، قالت العامة ومن لا علم له: هذا عالم مصيب، بصير، صابر، فيتبعونه على ضلالتهم، ويمدُّ له إبليس الصوت فيعجب بعمله، فيكون فتنة لكل مفتون.

ومن علامته: الإعجاب برأيه، والإزراء على من لم يعمل بمثل عمله، ويكون نظره إلى الناس بالاحتقار لهم<sup>(٥)</sup>، ويتغضب عليهم في التقصير به.

وقد روي في العلم: «احذروا فتنة<sup>(٦)</sup> العابد الجاهل، والعالم الفاسق، فإن فتنتهما / ٢٩ ب / فتنة لكل مفتون»<sup>(٧)</sup>.



(١) «في» ساقط من (و). (٢) يُنظر إحياء علوم الدين (٣ / ٤٥).  
 (٣) في (أ): «بدعة»، نقل هذا النص عن يمن بن رزق بالفاظ قريبة منه ابن أبي جمرة في شرح حديث إن الدين يسر في كتابه بهجة النفوس (١ / ٨٦).  
 (٤) في (أ): «فإذا». (٥) «لهم» ساقط من (و). (٦) «فتنة» ساقط من (و).  
 (٧) أخرج الآجري في أخلاق العلماء (٨٧) من طريق ابن المبارك، أن سفيان الثوري قال: «يُقال: «تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الْعَابِدِ الْجَاهِلِ، وَفِتْنَةِ الْعَالِمِ الْفَاجِرِ، فَإِنَّ فِتْنَتَهُمَا فِتْنَةٌ لِكُلِّ مَفْتُونٍ»».

### باب الرفق في العمل<sup>(١)</sup>

واعلم يا أخي: أن العبد إذا أراد أن يعمل العمل بالرفق قال له العدو: إن العمل بالخير لا ينفعك حتى تدع الشر كله، وتزهد في الدنيا، وتعتزل الناس، فاعرف نفسك وأصلح عيوبك، والذي عنك أكثر وأعظم من أن يصلح هكذا سريعاً، ويعظم عليه الأمر<sup>(٢)</sup> حتى يكاد يقنط وينقطع<sup>(٣)</sup> عن العمل.

فإن<sup>(٤)</sup> كان في يده<sup>(٥)</sup> دنيا عرّض له بحسن الظن والرجاء والتسويق وطول الأمل، فإن أجابه إلى هذا الباب قطعته عن البر، وشغله بالدنيا وشهواتها، فإن ردّ ذلك عليه وقال: التوبة، قال: صدقت لعمري لقد فرطت، وأخاف أن يدركك الموت، فعليك بالجد والاجتهاد، ولا يريد أن يقصر فيلزمه<sup>(٦)</sup> أشدّ العبادة، فينبت<sup>(٧)</sup>،<sup>(٨)</sup> أو ينقطع، أو<sup>(٩)</sup> يذهب عقله.

فإن اشتهر ذلك<sup>(١٠)</sup> عند الناس ألقى إليه طول الأمل، وخوفه قلة الصبر، ويقول له: لك بالناس أسوة، فيبغض إليه العبادة، ويثقلها عليه، ثم يقول له: إن الناس قد عرفوك بالعمل، فلا تبد<sup>(١١)</sup> لهم التقصير، ودع نفسك في السر، ويُعرّض/ ٣٠/ له بغذائه<sup>(١٢)</sup> الأول من الشهوات التي كان يُصيبها فيميل إليها، ويرجع إلى حالته الأولى، وصير عمله علانية رياءً، لا ينفعه بشيء<sup>(١٣)</sup>.

(١) «باب الرفق في العمل» ساقط من (أ).

(٢) «الأمر» ساقط من (و). (٣) في (و): «يقنطه ويقطع».

(٤) في (أ): «وإن». (٥) في (أ): «يديه».

(٦) في (و): «يلزمه». (٧) في (أ): «فيثبت».

(٨) ومن ذلك قوله عَلَيْهِ السَّلَام: «إن المنبت لا سفرًا قطع ولا ظهراً أبقي»، أخرجه البيهقي في شعب

الإيمان (رقم: ٣٦٠٣). (٩) في (أ): «و».

(١٠) في (أ): «بذلك». (١١) في (و): «تبدي».

(١٢) في (أ): «بغذاه». (١٣) في (و): «شيئاً»؛ بالنصب على المفعولية.

وعلاوة ذلك: أن يَسْتَحْلِيَ الكلام في الزهد وما يُزَيِّنُهُ عند الناس، ويُحِبِّبَ إليه مجالسة الناس، فيُصَيِّرَ عبادته وزُهدَهُ كُلَّهُ بالكلام، فالعالم عَرَفَ ضَعْفَ نفسه، وعرفَ زَمَانَهُ وَقِلَّةَ الأعوان فيه على الخير، وكثرة الأعداء، فأخذ الأمر بالرِّفْقِ والاستعانة بالله، وطلبَ صفاء الأعمال والإخلاصَ فيها، وإن قَلَّتِ الأعمالُ، وَطَلَبَ مخالفةَ الهوى، ونقلَ الطبائع<sup>(١)</sup> بالرِّفْقِ، وموافقةِ السُّنَّةِ، وأخرج الناس من قلبه، وَقَصَدَ قَصْدَ جهادِ نفسه، ومحاربةِ الشيطان والمعادنة للهوى بالخلاف، وَلَمَّا يُلْقُونَ إليه، فإن الله جل ثناؤه قد جعل لكل مَكِيدَةٍ من مكائد إبليس سلاحًا تُدْفَعُ به تلك المَكِيدَةُ.

وينبغي للعابد<sup>(٢)</sup> أن يعرف نزغات الشيطان أنَّى تأتيه، وما تهواه النفس، فإن الشيطان لا يصل إلى العبد ولا يقدر عليه إلا من قبل موافقته<sup>(٣)</sup> الهوى، فإذا بدأ / ٣٠ب/ العبدُ بنفسه ومُحَارَبَتِهَا، وبهواه فأَمَاتَهُ: هان عليه الشيطانُ.

واعلم يا أخي: أن هذا الدِّينَ مَتِينٌ، فإن أنت أخذتَ<sup>(٤)</sup> فيه بالرِّفْقِ أَمَكْنَكَ<sup>(٥)</sup>، وشرَّ السَّيرِ الحَقِيقَةِ<sup>(٦)</sup>، وقليل تدوم عليه خير من اجتهدا يقطعك، فإنك لم تر شيئاً أشدَّ تولياً من القارئ إذا تَوَلَّى<sup>(٧)</sup>.

(١) في (أ): «الطبائع». (٢) في (أ): «للعالم».

(٣) في (أ): «موافقة». (٤) في (أ): «وغلت».

(٥) أخرج ابن المبارك في كتاب الزهد (رقم: ١١٧٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (رقم: ٣٦٠٢) أن النبي ﷺ، قال: «إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ، وَلَا تُبَعْضْ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَ، وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى».

(٦) في (و): «الحققة»، قال ابن فارس: «الحققة: أرفع السير وأتعبه للظهر، وفي حديث مطرّف بن عبد الله لابنه: خير الأمور أوساطها، وشرَّ السَّيرِ الحَقِيقَةِ»، مقاييس اللغة (١٧/٢-١٨)، مادة: (حق).

(٧) أخرج مسلم في صحيحه (رقم: ٧٨٥) أن النبي ﷺ قال: «عَلَيْكُمْ مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ. فَوَاللَّهِ لَا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ».

ويُروى عن النبي ﷺ أنه «كان يتعوذُ من الحور بعد الكور»<sup>(١)</sup>، وكانوا يُحبون الزيادة، ويكرهون النقصان.

وينبغي للعابد أن يكون حذرًا لخلاف السنة، فإن من خالف السنة خالف الحق، ومن خالف الحق هلك<sup>(٢)</sup>.

فأنت العلماء والزم آدابهم، فإن رأيهم يقصرون في بعض ما يقولون فلا تزهد فيهم، واقتد منهم بذي البصيرة والصبر، ومن يوافق قوله فعله، وذلك أنه يُروى عن مطرف بن عبد الله بن الشخير<sup>(٣)</sup> أنه قال: «عقول الرجال على قدر أزمتهم، فإذا نقص العقل، نقص البر كله»، فأعرف نفسك في زمانك.

واعلم أن الزهد والعبادة والعلم المعمول به في هذا الزمان قليل، وإن كان من يتشبه بالعلماء لا يصبر على نزول / ٣١ / المحن؛ فكيف بالجاهل<sup>(٤)</sup> على نزولها؟

(١) أخرج الترمذي في سننه (رقم: ٣٤٣٩) عن عبد الله بن سرجس، قال: كان النبي ﷺ إذا سافر يقول: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللَّهُمَّ اصْحَبْنَا فِي سَفَرِنَا، وَاخْلُفْنَا فِي أَهْلِنَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْنَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَمِنْ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكُورِ، وَمِنْ دَعْوَةِ الْمَظْلُومِ، وَمِنْ سُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ»، وقال: هذا حديث حسن صحيح، ويروى الحور بعد الكون أيضا، قال: ومعنى قوله: الحور بعد الكون، أو الكور، وكلاهما له وجه، يُقال: إنما هو الرجوع من الإيمان إلى الكفر، أو من الطاعة إلى المعصية، إنما يعني الرجوع من شيء إلى شيء من الشر.

(٢) قريب من هذا النص نقله عنه ابن أبي جمرة في بهجة النفوس (١٠٨ / ٤) حيث قال: «وقد قال العلماء - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - مثل يمن بن رزق وغيره: وأنا أوصيك باتِّباع السنة في عملك، وأكد من ذلك اتِّباع السلف، فإنهم أعرف بالسنة مِنَّا».

(٣) «بن عبد الله بن الشخير» ساقط من (و).

(٤) في (و): «الجاهل».

وإذا كان من يتشبه بالزهاد لا يصبر؛ فكيف يصبر الراغب في الدنيا، والعالم من أهل هذا الزمان من شدة الصبر جزع<sup>(١)</sup>، والجاهل من شدة الجزع صبر<sup>(٢)</sup>، فيا سبحان الله ماذا أصبحنا وأمسينا فيه لو عقلنا<sup>(٣)</sup>؟

فصار العالم إنما هو متشبه بالعلماء، مدخول فيهم، يُسمى<sup>(٤)</sup> باسم لم يستحقه. وصار الزاهد متشبه بالعباد<sup>(٥)</sup>، يُسمى باسم لم يستحقه. وصار الزاهد متشبه بالزهاد<sup>(٦)</sup>، يُسمى باسم لم يستحقه. وصار المتوكل مدخولاً متشبهًا، يُسمى باسم لم يستحقه.

فماذا أصبحنا فيه وأمسينا<sup>(٧)</sup>، لو عقلنا إذا كانت هذه الطبقات من الناس على هذه الحال<sup>(٨)</sup>، إلا من عصم الله عز وجل؟

وأما العالم الصادق: الذي استوجب اسم العلم على الحقيقة، فإنه يكره من علمه بالله أن يظهر بلسانه ويده<sup>(٩)</sup> أو بجوارحه أكثر مما في قلبه، فيمقته الله على ذلك، ولم يره الله يؤثر دنياه على آخرته، فصبر عن الدنيا، وصبر عن<sup>(١٠)</sup> الذم والتقصير والتقليل، / ٣١ ب / وكره المدح والتوسع من الدنيا.

والجاهل الذي يعمل بجهل<sup>(١١)</sup> جزع من الذم، وفرح بالمدح، حتى صبر على<sup>(١٢)</sup> الدنيا من الجزع.

(١) في (أ): «خرج».

(٢) في (أ): «خرج».

(٣) «لو عقلنا» ساقط من (أ).

(٤) في (أ): «يتشبه بالزهاد».

(٥) في (أ): «فماذا أمسينا وأصبحنا فيه».

(٦) في (أ): «أو بيده».

(٧) في (أ): «الذي يجهل».

(٨) في (أ): «الصبر خرج».

(٩) في (و): «ليسمى».

(١٠) في (أ): «العابد يتشبه بالعباد».

(١١) في (أ): «الحالات».

(١٢) في (أ): «على».

(١٣) في (أ): «عن».

فاحذر أن تصبر صبر الجاهل، ولذلك ثقل العمل على أهل العلم بالله،  
وخفَّ على أهل الجهل.

ونوم العالم أفضل من اجتهد الجاهل، وضحك العالم بالله أفضل من بكاء  
الجاهل، فاحذر إبليس على أعمالك كلها، واحذر نفسك، واحذر<sup>(١)</sup> هواك،  
واحذر أهل زمانك، ولا تأمن أحدا منهم على دينك.

واعلم أن إبليس -لعنه الله<sup>(٢)</sup>- قد نصب لك حبائله، وأقعد لك الرصد<sup>(٣)</sup> في  
كل منهل، وقد سُلط أن يجري منك مجرى الدَّم في العروق، ويراك هو وأعوانه  
من حيث لا تراهم<sup>(٤)</sup>.

واعلم أنه يأتيك من قبل الرِّياء، والعجب، والكبر، والشك، والإياس،  
والأمن من المكر، والاستدراج، وترك الإشفاق.

فإن تابعته في شيء من ذلك، فأنت على سبيل هلكة، خلِّي حيثنذ<sup>(٥)</sup> بينك  
وبين ما شئت من العمل.

فإن خالفته أتاك من قبل الدنيا ليستولي<sup>(٦)</sup> الهوى على قلبك<sup>(٧)</sup>، فيتمكن هو  
من الذي / ٣٢ / يريد منك.

(١) «احذر» ساقط من (أ).

(٢) «لعنه الله» ساقط من (أ).

(٣) في (أ): «الرصد».

(٤) في (أ): «تروهم»، قال تعالى: ﴿يَبْقَىٰ آدَمَ لَا يَفْئِنُّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرِنُّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرْوَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧].

(٥) في (و): «فحيثنذ».

(٦) «الدنيا ليستولي» ساقط من (أ).

(٧) «على قلبك» ساقط من (و).

فإن خالفته أذاك من قبل المعاصي<sup>(١)</sup>.

فإن خالفته أذاك من قبل النصيحة.

وهذه الخصال التي وصفت لك كلها أشد من المعاصي؛ لأن المعاصي<sup>(٢)</sup> ربما انتبه العبد فتاب منها، وصاحب هذه الخصال أو شيء منها لا يكاد يتوب؛ فإن ظفر من العبد بالعجب قال له: إن الناس يقتدون بك، فاعمل وأعلن عملك، فيتأسى<sup>(٣)</sup> الناس بك، ويعملون مثل عملك، ويكون لك مثل أجر من عمل بمثل عملك؛ لأنه «مَن دلَّ على خير، فله مثل أجر فاعله»<sup>(٤)</sup>.

فإذا ظهر<sup>(٥)</sup> عمله فرح به، فصار معجباً، وحمد نفسه، ونسي النعمة عليه<sup>(٦)</sup>، فإذا نظر إلى عمله حُبَّ إليه حمدهم، واتخاذ المنزل عندهم، فإذا فعل ذلك صار مُرائياً مُفاخرًا.

فاتَّهم فرح القلب بالعمل، فإن الفرح إلى القلب الفرح<sup>(٧)</sup> أقرب وأسرع منه إلى القلب الحزين، وأقل من معرفة الناس، فإنه ليس يأتيك ما تكره إلا من قبلهم<sup>(٨)</sup>، فكلَّموا قُلُوباً كان خيراً لك.

(١) «فإن خالفته أذاك من قبل المعاصي» ساقط من (أ).

(٢) «لأن المعاصي» ساقط من (أ).

(٣) في (و): «فيقتاد».

(٤) أخرج مسلم في صحيحه (رقم: ١٨٩٣)، عن أبي مسعود الأنصاري، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: إني أبديع بي فاحملني، فقال: «ما عندي»، فقال رجل: يا رسول الله، أنا أدله على من يحمله، فقال رسول الله ﷺ: «مَن دلَّ على خير فله مثل أجر فاعله».

(٥) في (أ): «أظهر».

(٦) في (أ): «عله»؛ وهو خطأ ظاهر.

(٧) «الفرح» ساقط من (و).

(٨) في (أ): «فإنه ليس يأتيك ما تكره إلا ممن تعرف، فمن كان لا يأتيك ما تكره إلا من قبلهم».



واعلم أن العبد يعمل العمل في السر، فلا يزال به إبليس يقول: أظهره ليقتردي بك / ٣٢ب / الناس فيه، وتنشطهم على طاعة ربك، فلا يزال به إبليس<sup>(١)</sup> حتى يظهره، فإذا أظهره كتب في ديوان العلانية، فلا يزال به حتى يفخر به، فإذا فخر<sup>(٢)</sup> به كتب في ديوان الرياء<sup>(٣)</sup>.

فعليك بعمل السر وكتمانه، وإخمال النفس، وإسقاط المنزلة، واكتم الحسنات كما تكتم السيئات، وخف من فضيحة الحسنات كما تخاف من فضيحة السيئات، فإن المفتضح بالسيئات ليس يفتضح عند الخلق كلهم<sup>(٤)</sup>، وإنما يفتضح عند قوم دون قوم، والمفتضح بالحسنات إذا دخلها<sup>(٥)</sup> الرياء<sup>(٦)</sup> افتضح عند جميع العالم كلهم.

واحذر واستح<sup>(٧)</sup> من الله أن يراك تعمل لغيره، وتطلب الثواب منه، وأخلص العمل لله<sup>(٨)</sup>، وأصدق في عملك.

واعلم أن تخلص العمل في العمل أشد من العمل حتى يتخلص، والاتقاء على العمل بعد العمل أشد من العمل<sup>(٩)</sup>.

واعلم أنه لا يقبل الله عملاً من مُراءٍ، ولا من مُسمّع، ولا من دّاعٍ إلا بثبوت<sup>(١٠)</sup>

(١) «إبليس» ساقط من (أ).

(٢) قال سفيان الثوري: «إن العبد ليعمل العمل سرا، ولا يزال به الشيطان حتى يتحدث به، فينقل من ديوان السر إلى ديوان العلانية»؛ ينظر كشف المشكل من حديث الصحيحين (١/٤٠٨).

(٣) في (أ): «افتخر».

(٤) في (أ): «فإن المفتضح عند الخلق ليس يفتضح عند الخلق كلهم».

(٦) «الرياء» ساقط من (و).

(٥) في (أ): «داخل».

(٧) في (أ) و (و): «واستحيى»، والأولى ما أثبتناه. (٨) «الله» ساقط من (و).

(١٠) في (أ): «ثبت».

(٩) «من العمل» ساقط من (و).

من قلبه، فاحذر<sup>(١)</sup> الرياء كله، فإن أوله وآخره باطل، وكن في العمل متأنياً وقافاً، فإذا هممت بعمل فقف عنده، فإن كان<sup>(٢)</sup> لله خالصاً، فاحمد الله، وامض عليه<sup>(٣)</sup>، واستعن بالله / ٣٣ / على إخلاصه، واكلف من الأعمال<sup>(٤)</sup> ما تطيق، وتجب أن تزاد منه، ودُم عليه؛ «فإن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ»<sup>(٥)</sup>.

فاعمل بما تبين<sup>(٦)</sup> لك أنه حق واضح، فإذا أشكل عليك فقف ولا تقتحم، وناظر العلماء الذين يعملون بعلمهم، فهم الذين قصدوا إلى الله، وهم الدعاة إلى سبيل النجاة، الأدلاء على الله؛ لأن المؤمن وقاف عند ما اشتبه عليه، وليس كحاطب الليل، فناظر العلماء فيما التبس عليك، فما اجتمعوا عليه فخذ أنت فيه بالثقة والاحتياط، فإن الإثم حزان القلوب<sup>(٧)</sup>.

واعلم أن إبليس لعنه الله ربما قال للعبد: قد سبقك الناس إلى الله، فمتى تلحق بهم؟

فلتقل له عند ذلك: قد عرفتك، أنا في الطلب إن وفقت لحقت، وإن لم أوفق لم ألق، إن صبرت على القليل نلت الكثير، وإن عجزت عن القليل فأنا عن الشكر أعجز، وقد قال جل وعز: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨].

(١) في (أ): «واحذر».

(٢) «كان» ساقط من (و).

(٣) في (أ): «فيه».

(٤) في (أ): «العمل».

(٥) أخرج البخاري في صحيحه (رقم: ٦٤٦٤) عن عائشة: أن رسول الله ﷺ قال: «سددوا وقاربوا، واعلموا أن لن يدخل أحدكم عمله الجنة، وأن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل».

(٦) في (أ): «يبين».

(٧) عن أبي الأحوص قال: قال عبد الله بن مسعود: «الإثم حواز القلوب، فما كان من نظرة فللشيطان فيها مطمع» يعني بنظرة تأخير الشيء. أخرجه أبو داود في كتاب الزهد (رقم: ١٢٥).

فالزينة من الشيطان، والنور من الله، فإذا عمل العبد عملاً فرأى / ٣٣ب /  
الشيطان معه نوراً، كان همة الخبيث أن يطفى ذلك النور.

وإن كان الغالب على العبد عمل السر، أخرجته إلى عمل العلانية بحيلة  
ومكيدة، فإن عمل في العلانية بصدق وإخلاص، فرأى في عمل العلانية نوراً  
وصبراً، أمره بمخالطة الناس؛ ليؤذى فلا يحتمل، فإن خالطهم وأوذي،  
واحتمل الأذى، أمره بالعزلة والراحة من الناس؛ ليعجب بما يعمل، ويضجر  
من العمل، فإن اعتزل وصبر وأخلص [قال له] <sup>(١)</sup>: ارفق خير لك؛ ليصدنه عن  
العبادة، وإنما يلتبس في الأشياء غفلته، فينبغي للعبد أن يكون غير غافل عنه،  
ويستعن بالله عليه.



(١) زيادة يقتضيها السياق.

## باب في الإخلاص

واعلم أن صاحب الإخلاص خائف، وجل، حزين، متواضع، منتظر للفرج من عند الله، يودُّ أنه نجا كفافاً، لا عليه ولا له<sup>(١)</sup>، والجاهل فرح، فخور، متكبر، مُذَلُّ<sup>(٢)</sup> بعلمه<sup>(٣)</sup>.

ويُروى عن بعض الحكماء أنه قال: إنني لأعرف مائة باب من الخير، ليس عندي منها شيء.

واعلم أن العالم<sup>(٤)</sup> العامل الصّادق، المخلص، العارف، / ١٣٤ / الخائف، المشتاق، الرّاضي، المسلّم، الموفّق، الواثق، المتوكّل، المحبّ لربه: يحبُّ أن لا يرى شخصه، ولا يحكى قوله، ويودُّ أنه أفلت كفافاً، فمعرفة نفسه<sup>(٥)</sup> بلغت به هذه الدرجات<sup>(٦)</sup>، ومُسكته بهذه العزائم أوصله ذلك إلى محض الإيمان.

والجاهل المسكين يحبُّ أن يُعرف بالخير، ويُنشر عنه<sup>(٧)</sup>، ويُنشر ذكره، ولا يحبُّ أن يُزرى<sup>(٨)</sup> عليه في قولٍ ولا فعلٍ، بل يحبُّ أن يُحمد على ذلك كله، ويوطأ عقبه<sup>(٩)</sup>، وإن لم يرزأ بهم<sup>(١٠)</sup> شيئاً، وإنما شدة حبه لذلك لحلاوة الثناء، والحب لإقامة المنزلة، والفتنة في هذا عزيمة، والمؤنة عليه شديدة،

(١) «ولا له» ساقط من (أ).

(٢) في (أ): «بعلمه».

(٣) في (أ): «بنفسه».

(٤) في (و): «وينتشر عليه».

(٥) قال ابن فارس: «زرى: الزاء والراء والحرف المعتل يدل على احتقار الشيء وتهاون به، يقال زريت عليه، إذا عبت عليه، وأزريت به: قصرت به». مقاييس اللغة (٣/ ٥٢).

(٦) في (أ): «عقبه».

(٧) في (أ): «لهم».

وهو عبدٌ من عبيد الهوى، يتلاعب به الشيطانُ كُلَّ التلاعب، فتتقضي<sup>(١)</sup> أيامه، ويفني عمره على هذه الحال: أسيراً للشيطان، وعبدًا للهوى<sup>(٢)</sup>.

واعلم أن الشيطانَ إذا نظَرَ إلى العبد مُريدًا، صادقًا، مخلصًا، مداومًا، عارفاً بنفسه، عارفاً بهواه، معاندًا لهما، حذرًا، مستعدًا، عارفاً بفقره إلى الله، قال له: إنَّ هذا الأمرَ لا يصلح إلا بالأعوان عليه، والشيطان على / ٣٤ / الواحد أقوى، وهو من الاثنين أبعدُ، فجالس إخوانك، وذأكِرهم، وأخبرهم بما ينوبك في عملك، ونفسك وهواك، ومن عدوك، يدُلوك ويعينوك<sup>(٣)</sup>، يريد بذلك ذهاب حزن الخلوات، وإطفاء نور العُزلة بقطع<sup>(٤)</sup> سبيل النجاة، وفتح طريق الفضول<sup>(٥)</sup>، والتشاغل بغير الله، وإخراجه من عمل السرِّ إلى عمل العلانية، وإنما يُريد بذلك كَلَّه إطفاء ما قد أحدث الله جل ذكره في قلب العبد من نور فِكر الخلوات.

فإن قلتَ: هذا إنما هو من الشيطان؟

قال لك: أجل، إنما هو من الشيطان، وتعليمك الناس<sup>(٦)</sup> أفضل من عملك، فلو أخبرت الناسَ بذلك لكان<sup>(٧)</sup> خيرًا لك؛ ليعلموا من آفات الأعمال ما تعلم، فتؤجر فيهم.

فإن قلتَ: هذا أيضًا من الشيطان؟

قال لك: لولا علمك لم تعلم بهذه الآفات لتعجب بنفسك، أو<sup>(٨)</sup> تنسى النعمة عليك في العمل، فتحمد النفس، فلا يُجاوز عملك رأسك، فاحذر هذا الباب، فإن فيه شهوات خفية.

(١) في (أ): «تتقضي». (٢) في (أ) و (و): «أسير للشيطان وعبد للهوى» بالرفع.

(٣) في (أ): «يدلونك ويعينونك». (٤) في (أ): «وقطع».

(٥) في (أ): «الوصول». (٦) في (و): «معرفتك بذلك».

(٧) في (أ): «كان». (٨) في (أ): «و».

ومن الشهوة / ١٣٥ / الخفية: أن يُخفي العبدُ عمله، ويحب أن يعلم الناس به، ويحب أن يرى أثر ذلك عليه، والعمل خفي في السر، إلا أنه يحب أن يرى أثر ذلك العمل عليه، إما من علامة عطش إن كان صائماً، أو علامة السهر في الوجه إن كان قام من الليل.

واعلم أن العبد إذا<sup>(١)</sup> قال: أنا أعمل لله لا للناس، قال [له]: صَدَقْتَ، أَخْلَصَ عَمَلَكَ لله، فَإِنَّ الْمُخْلِصَ لله يَحِبُّه الله إلى الناس، ويعرّفهم فضله.

فإن قال العبد: وما حاجتي إلى الناس؟

قال: فأنت الآن المخلص الذي قد أخرجت الناس من قلبك، وعرفت مكيدة إبليس لعنه الله<sup>(٢)</sup>، وقد نجوت، وأنت معصومٌ.

فإن عقل العبد، وقال له: ومن أنا؟ وإنما الأعمال من لله على العباد، ولها شكر، وإنما الأعمال بخواتمها<sup>(٣)</sup>، وإنما الثواب على الله يوم الجزاء لمن أخلص، ولم يُعجب بعمله<sup>(٤)</sup>، ولم ينسب إلى نفسه نعمة هي من الله، وقد وجب له عليه بها<sup>(٥)</sup> الشكر.

فإنه يقول للعبد عند ذلك: الآن نجوت حين اعترفت / ٣٥ ب / لله بذلك، وقمت بشكر النعمة، وتواضعت لربك، وبرأت نفسك من العمل ونسبته إلى الذي هو منه.

فإن قبلت ذلك منه<sup>(٦)</sup> هلكت، ولكن قل: أنا أرجو، وأخاف، وليس إليّ من النجاة شيء، ولست أدري بما يختم لي عملي.

(٢) «لعنه الله» ساقط من (أ).

(١) في (أ): «إن».

(٤) «ولم يعجب بعمله» ساقط من (و).

(٣) في (أ): «بخواتيمها».

(٦) في (و): «فإن قلت ذلك».

(٥) في (أ): «بها عليه».

وإياك والتَّزَيْنَ بِتَرْكِ التَّزَيْنِ<sup>(١)</sup>، وذلك أنه ربما تَزَيْنَ الرَّجُلُ بِالرَّقَاعِ وَالْخِرْقِ<sup>(٢)</sup> والشعث، وترك الدنيا، وإنما يريد بذلك كله التزين.

فإن فعلتَ ذلك نزلتَ<sup>(٣)</sup> بمحلة خُشُوعِ النَّفَاقِ<sup>(٤)</sup>، فإن<sup>(٥)</sup> عرفتَ نفسك بشيءٍ من ذلك، ولم تسارع<sup>(٦)</sup> إلى التحول منه، خِفْتُ أن يلحقَكَ الخِذْلَانُ والمَقْتُ، فاتق الله في جميع أموركَ، واعمل له كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك<sup>(٧)</sup>.

فإن قال لك الخبيث: الآن نجوت حين عرفتَ نفسك، وأنزلتها هذه المنزلة، وحذرتَ هوائَكَ وعدوكَ، فقل: الآن هلكْتُ حين أُمِنْتُ العقابَ.

فإن قال لك: الآن نجوت حين خِفْتُ أن تكون قد أُمِنْتَ العقابَ.

فقل: الآن هلكْتُ، لو كنتَ صادقاً لصدَّقَ قولي فعلي، ولا زددتُ خوفاً / ١٣٦ / من الله جل ذكره وحياء<sup>(٨)</sup>، ولو كنتَ كذلك لحال بيني وبينك، ولجعلني في حرزه<sup>(٩)</sup> وحصنه، ومن عباده الذين قال الله فيهم<sup>(١٠)</sup>: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، ولم تكن أنتَ تدخلُ عليَّ في عملي.

(١) «بترك التزين» ساقط من (و).

(٢) «والخرق» ساقط من (و).

(٣) «نزلت» ساقط من (و).

(٤) قال أبو الدرداء: «اسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ خُشُوعِ النَّفَاقِ، قِيلَ لَهُ: وَمَا خُشُوعُ النَّفَاقِ؟ قَالَ: أَنْ يُرَى الْجَسَدُ خَاشِعًا وَالْقَلْبُ لَيْسَ بِخَاشِعٍ»، أخرجه أحمد بن حنبل في كتاب الزهد (رقم: ٧٦٢).

(٥) في (أ): «وإن».

(٦) في (أ): «تسارع».

(٧) «فإن لم تكن تراه فإنه يراك» ساقط من (أ)، وهو جزء مقتبس من حديث جبريل المشهور الذي أخرجه مسلم في صحيحه (رقم: ٨)، حيث جاء في جوابه ﷺ عن سؤال جبريل عن الإحسان، قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

(٨) في (و): «وحبا».

(٩) في (أ): «حزبه».

(١٠) «الله فيه» ساقط من (أ).

فإن قال لك: جاهد نفسك؛ فإنه أفضل العمل، وإن<sup>(١)</sup> الناس قد شغلهم أمر غيرهم، وأتبعوا أهواءهم، وأنتَ بينهم غريب، وأنتَ كالشجرة الخضراء بين الشجر اليابس، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «طوبى للغرباء»<sup>(٢)</sup>، وأنتَ المعروف في أهل السماء، والمجهول في أهل الأرض، فإن قبلت ذلك هلكت.

وإن قلت: هذا من الشيطان؟

قال لك: صدقتَ هذا من الشيطان، وقد<sup>(٣)</sup> كثرتَ عليك مكائده<sup>(٤)</sup>، ومجاهدة نفسك وهواك، فكم تعذب نفسك، وإن كنت شقيًّا لم تُسعد أبدًا، وإن كنت سعيدًا لم تشق أبدًا، ولا يضرُّك تركُ العمل إن كنت سعيدًا، ولا ينفعك العمل الكثير إن كنت شقيًّا، فإن قبلت القنوط الذي ألقى<sup>(٥)</sup> إليك هلكت.

وإن تركتَ العمل، ٣٦ب/ ونلتَ من الشهواتِ على الغرور، وحُسن الظن بزعمك، والاتكال على الرجاء الكاذب، والطمع الكاذب، والأمان الكاذب، ورجوتَ<sup>(٦)</sup> الجنة بالغرور، وطلبتها طلب المتعبدين بالراحة: عطبتَ.

(١) في (أ): «فإن».

(٢) أخرج مسلم في صحيحه (رقم: ١٤٥)، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود كما بدأ غريبًا، فطوبى للغرباء».

وأخرج أحمد في مسنده (رقم: ٦٦٥٠) عن عبد الله بن عمرو بن العاصي، قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن عنده: «طوبى للغرباء»، فقليل: من الغرباء يا رسول الله؟ قال: «أناس صالحون، في أناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم»، قال: وكنا عند رسول الله ﷺ يومًا آخر حين طلعت الشمس، فقال رسول الله ﷺ: «سيأتي أناس من أمتي يوم القيامة، نورهم كضوء الشمس»، قلنا: من أولئك يا رسول الله؟ فقال: «فقراء المهاجرين، والذين تتقى بهم المكاره، يموت أحدهم وحاجته في صدره، يحشرون من أقطار الأرض».

(٣) «قد» ساقط من (و).

(٤) في (أ): «ومكائده».

(٦) «ورجوت» مكرر في (أ).

(٥) في (أ): «ألقاه».



وإن امتنعتَ قال لك: أحسن ظنك بالله فإنه يقول: «أنا عند ظن عبدي بي»<sup>(١)</sup>، والله يحب اليسر<sup>(٢)</sup>، والدّين واسع، والله غفورٌ رحيمٌ، فاعرف نفسك عند ذلك، واعتصم بالله، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٦].

واعلم أنك إن كنتَ في بلدٍ وأنتَ فيه سَالمٌ، وأمرُك فيه مستقيمٌ، والنُّور معك في فِعْلِكَ وقولِكَ، قال لك: عليك بالثغور، وعليك بمكة<sup>(٣)</sup>، وعليك بكذا وعليك بكذا، فإن قَبِلْتَ ذلك رأيتَ فترةً في عاجلِ عملِكَ، وقساوةً في قلبِكَ، ووقعتَ في المَشْوَرة، يُريد بك<sup>(٤)</sup> نقصان العمل بسبب<sup>(٥)</sup> السَّفر، والشغل به عن الذنوب، والنشاط الذي كان معك.

فإن صِرْتَ إلى بلدٍ أنت فيه مأجورٌ، وقلبك رائح<sup>(٦)</sup>، قال لك: موضعك كان أصلحَ لقلبك، وأجمعَ لِهَمِّكَ، ارجع<sup>(٧)</sup> إلى موضعك، فإن أحب الأعمال إلى الله أدومها / ١٣٧ / مع معرفة النفس، والفقر إلى الله، فإن للذنوب ثوابًا، وللصبر ثوابًا، و﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

واعلم أن مَنْ ينجو بالأعمال أكثر ممن يهلك بها، وكل عَبْدٌ مُيسَّرٌ لِمَا خُلِقَ له. واعلم أن مَنْ يهلك بالتفريط والتضييع أكثر، وينبغي للمؤمن أن يكون راغبًا راهبًا، لا يَأْمَنُ ولا يَيْئَسُ.

(١) أخرج البخاري في صحيحه (رقم: ٧٤٠٥)، ومسلم في صحيحه (رقم: ٢٦٧٥)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خير منهم، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إلي ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة».

(٢) في (و): «اليسير». (٣) «عليك بالثغور، وعليك بمكة» ساقط من (أ).

(٤) في (أ): «بذلك». (٥) «العمل بسبب» ساقط من (أ).

(٦) في (أ): «ريح». (٧) في (أ): «وارجع».

واعلم أنه يأتيك من وجوه كثيرة ما يغفل عنك<sup>(١)</sup>، ولا يألوك خبالاً إن كنت مُقِلًّا، عندك من الدنيا شيءٌ يسيرٌ، تريد أن تقوته على نفسك؛ أمرك بالصدقة، فيرغبك<sup>(٢)</sup> فيها لتخرج ما في يدك، وتحتاج رجاءً أن يظفر بك في حال الغفلة، وإن كنت غنياً أمرك بالإمساك، ورغبك فيه، وخوفك الفقر والحاجة، وقال لك: ابدأ بمن تعمل، ولعلك تكبر وتضعف، ويطول عمرك، يريد بذلك أن يصير إلى حال البخل فيظفر بك، وإن كنت تصوم، وقد عرفت بالصوم لا تفطر<sup>(٣)</sup>، وأحببت<sup>(٤)</sup> أن تريح نفسك، قال لك: أنت<sup>(٥)</sup> قد عرفت بالصوم لا تفطر، فيضع الناسُ أمرك / ٣٧ب / على أنك قد تغيرت، وفترت، وعجزت.

فإن قلت: ما لي وللناس؟

قال لك: صدقت، أفطر فإن المحسن معانٍ، سيضعون أمرك على أحسنه.

فإن قبلت ذلك منه، وأفطرت على أن الناس<sup>(٦)</sup> سيضعون أمرك على أحسن الوجوه والمنزلة، فإنك تسقط<sup>(٧)</sup> عندهم بإفطارك: فقد عطبت.

وإن هو نفى ذلك، تركه ونصب له باباً آخر، فقال له: عليك بالتواضع<sup>(٨)</sup> ليُشهره عند الناس، كلما ازداد<sup>(٩)</sup> تواضعاً على قبوله منه - والشهوة للشهرة - ازداد كلباً عليك.

(١) «عنك» ساقط من (أ).

(٢) في (أ): «ورغبك».

(٣) «لا تفطر» ساقط من (أ).

(٤) في (أ): «فأحببت».

(٥) «أنت» ساقط من (أ).

(٦) «سيضعون أمرك على أحسنه، فإن قبلت ذلك منه، وأفطرت على أن الناس» ساقط من (و).

(٧) «فإنك تسقط» في (أ): «لا تسقط».

(٨) «بالتواضع» ساقط من (و).

(٩) في (و): «ازددت».

فَاتَّقِ مَا وَصَفْتُ لَكَ، والجأ إلى الله<sup>(١)</sup> في أموركَ كُلِّهَا، وأترك طَلَبَ شَيْءٍ من الدنيا بعمل الآخرة رغبةً منك في الآخرة، وَحُبًّا لَهَا، وإيثَارًا لَهَا على الدنيا، فحبك إِيَّاهَا تَصِلُ إِلَيْهَا، وبقدر حُبِّكَ لَهَا تعملُ لَهَا، واجْتَنِبِ<sup>(٢)</sup> الدنيا وأبْغِضْهَا، وبقدر بغضك لَهَا تزهّد فيها<sup>(٣)</sup>. / ١٣٨ / .

وانظر<sup>(٤)</sup> إِنْ كُنْتَ ذَا عِلْمٍ، فخَفْ أَنْ تُوقِفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فيقال لَكَ: بُعْدًا، وَسُحْقًا، بَعْدَ الْعِلْمِ وَالْبَصْرِ مِلْتَ إِلَى الدُّنْيَا، وتركتَ العمل<sup>(٥)</sup>، واجترأتَ على مَا يُسْخِطُ<sup>(٦)</sup> اللَّهَ، مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ أَيُّهَا الْمَغْرُورُ، فليَعْبِدِ اللَّهَ الْعَالَمُ بِطَاعَةِ الْعِلْمِ، وبترك طاعة الجَهِلِ<sup>(٧)</sup>، وبترك الاغترار بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ<sup>(٨)</sup>.

واعْلَمْ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَتَّبِعُ مِنْ جَمِيعِ مَنْ أَطَاعَهُ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ يَقُولُ فِي الدُّنْيَا<sup>(٩)</sup>: مَنْ ظَنَّنَ أَنَّهُ يَنْجُو مِنِّي بِحِيلَةٍ فِي حِبَالِي وَقَعَ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ؟ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، / ٣٨ ب / وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]<sup>(١٠)</sup>، فافهم، واحذر، وافطن، وأبصر<sup>(١١)</sup>، وحارب، واستعد، وكابد، وجاهد، واستعن بالله.

(١) «إلى الله» ساقط من (و). (٢) في (أ): «وإقلاء».

(٣) ورد بعد هذا في (و): «تم الجزء الأول بحمد الله وحسن عونه وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليمًا، يتلوه إن شاء الله الجزء الثاني، والله سبحانه الموفق».

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، الجزء الثاني من تأليف أبي بكر يمين بن رزق، رواية يحيى بن عمر الأندلسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) طرة في (أ): «خ: واعلم». (٥) في (أ): «العلم».

(٦) في (أ): «أسخط». (٧) «وبترك طاعة الجَهِلِ» ساقط من (أ).

(٨) «بالله عَزَّوَجَلَّ» ساقط من (أ). (٩) «وهو يقول في الدنيا» ساقط من (و) ومكرر في (أ).

(١٠) سقط من الآية في (أ): «يا أيها الناس».

(١١) في (أ): «وانظر».

واعلم أن العبد إذا قام إلى الصلاة يُريد بها ثواب الله وحده، ﴿ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الْصَّابِرُونَ﴾ [الفصل: ٨٠]، وإن أراد بها ثواب الله، وحمد غيره: هلك.

واعلم أن أولى الأشياء بالعبد أن يُخلص عمله كله لله عزَّ وجلَّ، والكلام فيه كثير، غير أن الأصل فيه -إخلاص العمل-<sup>(١)</sup>: أن يعمل العمل يريد الله به<sup>(٢)</sup> كله، لا يُحبُّ أن يطلع عليه أحدٌ من الناس، فإن اطلع أحدٌ على عملك كرهت ذلك بقلبك، ولم تُسرَّ بذلك، ولم تُحبَّ أن يحمداك أحدٌ على شيء من عملك، ولا تتخذ به منزلةً عندهم، فهذا أصل إخلاص العمل، إن شاء الله<sup>(٣)</sup> والله المستعان.

وأما الرياء فهو أن تُحبَّ أن يحمداك الناس على شيء من عملك، أو تقوم لك منزلة به<sup>(٤)</sup> عندهم، ومن أراد العمل اقتصر على القليل، ومن لم يرد العمل لم يكتف بالكثير<sup>(٥)</sup> / ٣٩ / .

واعلم أن الناس في العمل على ثلاثة أصناف:

فصنفت<sup>(٦)</sup> أهملوا أنفسهم في العمل من البر، فعملوا ليُعرفوا بالخير، فهم الهالكون.

وصنفت أهل رهبة من الله ورغبة فيما عنده، يكابدون الأعمال بالصدق والإخلاص، ويتقون فساد الأعمال، ولا يُحبُّون المَحْمَدة من المخلوقين، ولا

(١) «إخلاص العمل» ساقط من (و). (٢) في (أ): «به الله».

(٣) «إن شاء الله» ساقط من (أ). (٤) في (أ): «به منزلة».

(٥) في (و): «وإن لم يكن يريد العمل بالكثير».

(٦) في (أ): «صنفت».

المنزلة عندهم، ولا يعملون شيئاً من العمل للناس<sup>(١)</sup>، ولا يتركون من أجلهم شيئاً، وأحياناً تعرض لهم العوارض، وأحياناً يسلمون منها.

وفرقه قوياً إخلاصهم، مستقيمة سريرتهم وعلايتهم، أخلصوا العمل لله، وتركوا الدنيا بعد معرفتهم بها، ونظروا إليها بالعين التي ينبغي أن ينظروا بها إليها، فرأوا عيوبها<sup>(٢)</sup> فمقتوها، وصدقوا الله في مقتهم لها، وتركوها زهداً فيها، وصدقوا الله في ذلك، فمات ذلك من قلوبهم وذاب، ولم يكن لها في قلوبهم قرار؛ لقوة<sup>(٣)</sup> التعظيم في قلوبهم، فلما استولت العظمة على قلوبهم لم يكن للدنيا ولا لأهلها في قلوبهم مستقر<sup>(٤)</sup> / ٣٩ ب / ولا قرار، فالحمد لله ذي المن والفضل العظيم.

ومن الرياء أن العبد يرائي أهل الدنيا بالدنيا في ملبسه<sup>(٥)</sup>، ومركبه، ومسكنه، وأفرشته، وطعامه، وخدمه، حتى الدهن والكحل ونحو ذلك، يريد بهم بها صيانة لنفسه، وهو رياء، وليس كالرياء<sup>(٦)</sup> بالأعمال التي يبتغي بها وجه الله عز وجل؛ لأن المرائين بالبر<sup>(٧)</sup> يخاف عليهم من النار؛ لقوله: «بل أردت أن يقال: فلان كذا وكذا، وقد قيل ذلك»<sup>(٨)</sup>.

(١) «لناس» ساقط من (و).

(٢) «بالعين التي ينبغي أن ينظروا بها إليها، فرأوا عيوبها» ساقط من (أ).

(٣) في (و): «لقوله».

(٤) في (أ): «في لباسه».

(٥) في (و): «كل الرياء».

(٦) في (أ): «من البر».

(٧) في (أ): «فقد».

(٨) أخرج الترمذي في سننه واللفظ له (رقم: ٢٣٨٢)، والنسائي في سننه (رقم: ١١٨٢٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: حدثني رسول الله ﷺ: «أن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية، فأول من يدعو به رجل جمع القرآن، ورجل قتل في سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول الله للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ قال: بلى يا رب. قال: فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقوم به آتاء الليل وآتاء النهار، فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال: إن فلانا قارئ فقد قيل ذاك...، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».

وهذا الذي رَأَى<sup>(١)</sup> بالتكاثر والتفاخر، وطلَبَ الدنيا حلالاً مُكَاثِرًا مُفَاخِرًا مَرَاتِيًا، لَقِيَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يومَ الْقِيَامَةِ وهو عليه غَضَبَان.

وهذا مع ما فيه من الفساد أَهْوَنُ من الباب الآخر، وكلاهما شديدان، والله المستعان.

وذلك أن المفاخر إنما يريد إقامة مروءته عند الناس، فلو كانت له الدنيا كُلُّهَا لا حتاج إليها؛ لما معه من حُبِّ الدنيا، وذلك أَنَّ قلبه مشغول عن الله وعن طلب الآخرة، وهو مع هذا خائف وَجِلٌّ أَنْ تَنْزِلَ به نازلةٌ تُغَيِّرُ حاله، فيتغير مَنْ كان له مطيعًا، فما أَشَدَّ مَضَرَّةَ هذا الباب.

وعلامة المريد: / ٤٠ / النظرُ إلى مَنْ هو دُونُه في الرِّزْقِ<sup>(٢)</sup>، وإلى مَنْ هو فَوْقَه في العمل للآخرة<sup>(٣)</sup>، ويتواضع ولا يُنَافِسُ أهلَ الكِبَرِ، والفخر، والرياء، والتكاثر، و[لا] يأخذ ما أخذ لنفسه، ويترك ما ترك لنفسه، وما أخذ فإنما نيته فيه قوة على دينه، وإقامة فرائضه، والاستغناء عن غيره، ويدَعُ جميع ما كان للناس من ذلك.



(١) في (أ): «رأيا».

(٢) أخرج مسلم في صحيحه (رقم: ٢٩٦٣) عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «انظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ».

(٣) في (أ): «في الآخرة».

باب العجب<sup>(١)</sup>

وأما العُجْبُ فأصله: حَمْدُ النَّفْسِ، ونِسْيَانُ النِّعْمَةِ، وهو نَظَرُ الْعَبْدِ إِلَى نَفْسِهِ وَفِعَالِهِ، وينسى أن ذلك كُلُّهُ<sup>(٢)</sup> إنما هو مَنْ مِنْ اللَّهِ سبحانه عليه<sup>(٣)</sup>، فتحسن حال نفسه عنده، وَيَقِلُّ شُكْرَهُ، وَيَنْسُبُ إِلَى نَفْسِهِ شَيْئًا هُوَ مِنْ غَيْرِهَا، وهي مطبوعةٌ على خلافه، فَإِنْ غَفَلَ هَلَكَ وَاسْتُدْرَجَ، ويكون مُعْجَبًا بعبادته، مُزْرِيًا عَلَى مَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِعَمَلِهِ، عَمِيًّا<sup>(٤)</sup> عن عيوب نفسه، ويكون مستكبرًا لعمله مَسْرُورًا بِهِ، راضِيًا عَنْ نَفْسِهِ فَرِحًا بِهَا<sup>(٥)</sup>، يَسْعَى فِي هَوَاهَا؛ غَضَبُهُ لَهَا وَرِضَاهُ لَهَا.

ولا يخلو المعجبُ / ٤٠ ب/ بعمله أن يكون مُرَائِيًا؛ لِأَنَّهُمَا قَرِينَانِ لَا يَفْتَرِقَانِ، وَلَا يَكُونُ الْمَعْجَبُ مَحْزُونًا، وَلَا خَائِفًا أَبَدًا؛ لِأَنَّ الْعَجْبَ يَنْفِي الْخَوْفَ.

واعلم يا أخي أن الناظرَ إِلَى اللَّهِ فِيمَا يَعْمَلُ قَدْ نَفَى الْعُجْبَ عَنْهُ؛ لِعِلْمِهِ أَنَّ الْعَمَلَ إِنَّمَا هُوَ مَنْ<sup>(٦)</sup> مِنَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، فَهُوَ<sup>(٧)</sup> قَائِمٌ بِالشُّكْرِ، مُسْتَعِينٌ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ عَلَى كُلِّ حَالٍ، مُتَّهِمٌ لِنَفْسِهِ، قَدْ نَفَى الْأَعْمَالَ كُلَّهَا عَنْهَا، فَلَيْسَ لَهَا عِنْدَهُ فِيهَا حَظٌّ وَلَا نَصِيبٌ.

واعلم أنهم صِنْفَانِ: صِنْفٌ عُلَمَاءُ أَقْوِيَاءُ<sup>(٨)</sup>؛ فَهُمْ الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى اللَّهِ فِيمَا يَعْمَلُونَ، فَحَمَدُوا اللَّهَ عَلَى مَا وَهَبَ لَهُمْ مِنْ قَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ.

وصِنْفٌ نَظَرُوا إِلَى السَّبَبِ الَّذِي أَعْطَاهُمُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، فَاشْتَغَلُوا بِشُكْرِ السَّبَبِ.

وَالصَّنْفُ الْأَوَّلُ أَقْوَى مِنْ هَؤُلَاءِ، أَوْلَيْكَ لَا يَعْزِضُ لَهُمُ الْعُجْبُ لِعِلْمِهِمْ بِهِ، وَهَؤُلَاءِ رُبَّمَا أُعْجِبُوا بِالسَّبَبِ، وَرُبَّمَا انْتَفَى عَنْهُمْ، فَهُمْ مَكَابِدُونَ لَهُ، فَإِنْ قَامُوا

(١) «باب العجب» ساقط من (أ).

(٢) «كله» ساقط من (أ).

(٣) في (أ): «إنما هو من الله منه عليه».

(٤) في (أ): «عمي».

(٥) في (أ): «بما».

(٦) «من» ساقط من (أ).

(٧) في (أ): «وهو».

(٨) في (و): «أقدياء».

بشكر ذلك فحالتهم حسنة، وهم دون أولئك، وإن رَكَنُوا إلى ما يدخل عليهم من العُجب، فقد هلكوا إلا أن ينبّه الله من شاء منهم، فيتوب / ٤١ / عليهم<sup>(١)</sup>.

والعُجب كثير، وهو آفة المُتعبدين من الأولين والآخرين، وهو من الكِبَر، والكِبَر آفة إبليس التي أهلكه الله بها<sup>(٢)</sup>،<sup>(٣)</sup>.

وأما الشهرة وإشارة الناس إلى العبد، فإنها لن تضر إلا من<sup>(٤)</sup> أرادها، والمرء مُلبسٌ زين عمله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر<sup>(٥)</sup>.

فكم من مُستتر بعمله قد شهّر<sup>(٦)</sup> الله به، وكم من مُتزين بعمله<sup>(٧)</sup> يريد به الاسم واتخاذ المنزلة عند الناس قد شأنه<sup>(٨)</sup> الله تعالى به، وإنما يُفسد ذلك ويُضلحه<sup>(٩)</sup> الضمير، فإن أحب الشهرة جَمَعَ الشهرة والرياء والعُجب جميعاً، وإن أراد الله وحده، وكان مُخلصاً: لم يضره عُرف أو لم يُعرف، وربما لحقه حُب معرفتهم إياه بالعمل، فيخرج به إلى الباب الذي يُحيط الأعمال.

ومن ذلك حُب معرفتهم إياه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والغضب لله وفي الله، فإن قام بذلك ونفى ما<sup>(١٠)</sup> يحبه، وكانت نصيحته لله وللمؤمنين،

(١) في (أ): «عليه». (٢) «بها» ساقط من (و).

(٣) لأن الله تعالى أمره بالسجود لآدم فأبى استكباراً قائلاً: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]. (٤) في (و): «لمن».

(٥) في (أ) و (و): «إن خير فخير، وإن شر فشر»، بالرفع، والمثبت هو الموافق لقواعد اللغة. قال عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا كَسَاهُ اللَّهُ رِدَاءَهُ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ». أخرجه أبو داود في كتاب الزهد (رقم: ٩٩).

(٦) في (أ): «أشهروه». (٧) في (أ): «بعمل».

(٨) في (أ): «أشانه». (٩) في (أ): «وإنما يصلح ذلك ويفسده».

(١٠) في (و): «من».



ونجاة نفسه نجا<sup>(١)</sup>، وإن اعتقد شيئاً من اتخاذ المنزلة، أو حُبَّ الشَّاء، أو طلب رياسة، أو لِيُقْبَلَ قوله: / ١٤١ ب/ فقد شَرِبَ بكأس<sup>(٢)</sup> السُّمِّ الذي لا يُبْقِي ولا يذر، ولا عَاصِمَ له<sup>(٣)</sup> من ذلك إلا الله جل ذكره.

والرِّياء والعُجب والكِبَر والشُّهرة إنما هي من أَعْمَال القلب، فتوسَّل إلى الله يا أخي<sup>(٤)</sup> في صلاح قلبك، فإن سَلِمَ قلبك، وعلم الله إرادتك إنما هي خالصة له<sup>(٥)</sup>: خَلَّصَكَ مِنْ كُلِّ آفَةٍ دَخَلْتَ عَلَيْكَ، وَاللهُ عَزَّجَلَّ يَقْسِمُ الشَّاءَ كَمَا يَقْسِمُ الرِّزْقَ، «وَمَنْ خَافَ اللهُ أَخَافَ<sup>(٦)</sup> اللهُ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَمَنْ لَمْ يَخَفِ اللهُ أَخَافَهُ اللهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَمَنْ أَحَبَّ اللهُ أَحَبَّهُ كُلُّ شَيْءٍ»<sup>(٧)</sup>، وَاللهُ مُسَبِّبُ الْعِبَادَةِ، وَإِنَّمَا تَصَحِيحُ الْعَمَلِ بِالْحَوَادِثِ عَلَى قَدْرِ صِحَّةِ الْقَلْبِ، وَمَعَ صِحَّةِ الْقَلْبِ دَلَالَةُ الْعَقْلِ، وَسِيَاسَةُ الْعِلْمِ، وَسَائِغَةُ<sup>(٨)</sup> الْخَوْفِ.

فإن أردتَ عملاً فابتغِ بذلك ثوابَ الله عَزَّجَلَّ، وكثِّر<sup>(٩)</sup> ما تُؤْمَلُ مِنَ اللهِ عَزَّجَلَّ مِنَ النِّجَاةِ مِنَ النَّارِ، وَالْوَصُولِ إِلَى نَعِيمِ الْجَنَّةِ: يُهَوِّنُ عَلَيْكَ الْعَمَلَ، وَيُخَلِّصُكَ اللهُ مِنَ الْآفَاتِ، وَيَقْوِيكَ عَلَيْهِ.

(١) في (و): «لنفسه».

(٢) «بكأس» ساقط من (أ).

(٣) «له» ساقط من (أ).

(٤) في (أ): «يا أخي إلى الله»، وهو مجرد تقديم وتأخير لا يؤثر على المعنى.

(٥) في (أ): «له خالصة»، وهو مجرد تقديم وتأخير لا يؤثر على المعنى.

(٦) في (أ): «خوف».

(٧) أخرجه مرفوعاً دون جزئه الأخير الدولابي في الكنى والأسماء (رقم: ١٣٣٩)، والعقيلي في الضعفاء الكبير (٣/ ٢٧٤). قال العراقي: رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث أبي أمامة بسند ضعيف جداً، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين بإسناد معضل. تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (٥/ ٢٢١٦).

(٨) في (و): «وسائغة».

(٩) في (و): «وكثير».

فإذا عملت فاشكر، وانظر هل ينقص من بدنك شيء في ليلتك أو نهارك لتعتقد<sup>(١)</sup> النية فيما تستقبل / ١٤٢ .

وانظر إذا أصبحت كيف مضت عنك<sup>(٢)</sup> ليلتك بتعبها ونصبها، وبقي لك ثوابها وسرورها، يكون ذلك قوة لك على ما تستقبل<sup>(٣)</sup>.

والحسنة لها<sup>(٤)</sup> نور في القلب، وسرور يجد العبد حلاوة ذلك السرور، وضياء ذلك النور.

ولم يدع الله جل ذكره المطيعين حتى جعل لهم في الطاعة<sup>(٥)</sup> اللذة، والنشاط، وقرة<sup>(٦)</sup> العين، وحلاوة القرية إليه، ولم يدعهم حتى حببهم إلى الناس، وحتى نظروا إليهم بالهيبة<sup>(٧)</sup> لهم، والإجلال مع ما في قلوبهم من التواضع والخوف لله<sup>(٨)</sup>، وإن لم يعرفهم الناس، وكانوا من أهل الجهالة بهم<sup>(٩)</sup>.

فإن أوضع خلق الله في الدنيا إذا كان بالطاعة عاملاً: كان من أعز الناس عند الناس<sup>(١٠)</sup>، وأغناهم بالله غنى، ومن هاب الله في السريرة، هابه الناس في العلانية، وبقدر ما يستحيي العبد من الله في الخلوة، يستحيي منه الناس في العلانية<sup>(١١)</sup>.

(١) في (أ) و (و): «لتعتقد».

(٢) في (و): «قوة على ما يستقبل».

(٣) في (أ): «بالطاعة».

(٤) في (و): «بالهيبة».

(٥) قريب من هذا نقله عنه ابن أبي جمرة في بهجة النفوس (٢٨٢ / ٤) حيث قال: «قد ذكر الإمام يُمن بن رزق رَحِمَهُ اللهُ أَنْ اللهُ تعالى لا يزال بعبد الصالح حتى يحببه لعباده، ويلقي خوفه في قلوبهم ويسهل عليه طاعته، ويرزقه حلاوتها».

(٦) في (أ): «به».

(٧) في (و): «النار».

(٨) قارن بما في المدخل لابن الحاج (٥٤ / ٣).

وينبغي للعامل أن تكون محبته في العمل بالحسنات ويُسْتَرها، ويشكرها<sup>(١)</sup> ويتناساها<sup>(٢)</sup>، فإنه سيحفظها له مَنْ لا ينساها، / ٤٢ب / ويُحْصِي له مَثاقِيلَ الذُّر<sup>(٣)</sup> من عمله، فإن ظهرت الحسنات فليعرف نفسه، ولا يَغْرَنه ثناء من جهله.

وتَفَكَّر أيها العامل في العواقب، فإن أَحْبَبْتَ أَنْ يُحِبَّكَ النَّاسُ، أَوْ يَفْطَنُوا بحسناتك إذا عملتها فيكرموك وَيُجَلُّوك: فقد تَعَرَّضْتَ لِمَقْتِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ لك.

ويحك؛ إنك إن أسقطك الله سَقَطْتَ، فلا تَعْبَأَنَّ<sup>(٤)</sup> من الوجهين جميعاً، وإن سَلِمْتَ لك آخرتك سَلِمْتَ لك دنياك، وإن خُسِرَانِ الآخرة خُسِرَانِ الدنيا والآخرة جميعاً، ومن<sup>(٥)</sup> ربح الآخرة ربحهما جميعاً.

واعلم أنك إن غَضِبْتَ على الناس في شيء هو لنفسك، وأَبْدَيْتَهُ لَهُمْ أَوْ لَمْ تُبْدِهِ لَهُمْ: عِلِمَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ قَلْبِكَ، فقد تَعَرَّضْتَ لِغَضَبِهِ إِذَا أَظْهَرْتَ أَنَّكَ إِنَّمَا غَضِبْتَ لِنَفْسِكَ.

واعلم أن الله جَلَّ ذِكْرُهُ لا يخفى عليه مِنْ أَمْرِكَ خَافِيَةً، وَلَكِنْ فَرَقَ<sup>(٦)</sup> بَيْنَ غَضَبِكَ عَلَيْهِمْ وَبَيْنَ سُرُورِكَ بِهِمْ، وفرحهم وفرحك بشنائهم<sup>(٧)</sup> عليك بحسناتك، وأنت تريد ثوابها من ربك.

لقد ابْتَلَيْتَ أَيُّهَا الْعَبْدُ بحسناتك، وَعَظَّمْ فِيهَا بِلَاؤَكَ، وَلَعَلَّهَا أَضَرَّ عَلَيْكَ مِنْ بَعْضِ / ٤٣أ / سَيِّئَاتِكَ، فَإِنْ بَلَغَ بِكَ الْبَلَاءُ أَنْ تَفْرَحَ إِذَا<sup>(٨)</sup> مَدْحُوكٌ بِغَيْرِ عَمَلِكَ، أَوْ بِأَكْثَرِ مِنْ عَمَلِكَ فَقَبِلْهُ قَلْبُكَ: أَحْبَطَ اللَّهُ عَمَلَكَ، ثُمَّ تَصِيرُ إِلَى حَالَةٍ<sup>(٩)</sup> تُحِبُّ

(١) «ويشكرها» ساقط من (أ).

(٢) في (و): «ويتناساها».

(٣) في (و): «الذر» بالبدال المهملة.

(٤) في (أ): «تغتر».

(٥) «من» من (و).

(٦) في (أ): «وليس الفرق».

(٧) «بشنائهم» ساقط من (أ).

(٨) في (أ): «إذ».

(٩) في (أ): «حال».

مجيء الإخوان إليك<sup>(١)</sup> في أوقات الأعمال فتفرح، وإن أتوك في وقت فراغك حزنت عند ذلك<sup>(٢)</sup>، والله سائلك عن ذلك كله، وتظهر منك الحزن، وتوهم الناس أن ذلك من شدة همك بالآخرة، وإنما ذلك منك تصنع تحب أن يحمدوك على ذلك، فإذا أنت<sup>(٣)</sup> قد هلكت من الوجهين جميعا.

فخف الله في سرائر أمورك وعلايتها، واحتقر حسناتك بجهدك، واستكثر منها ما استطعت، حتى يعظم قدرك عند الله، وتعظم حسناتك، واستكبر صغير ذنبك حتى يصغر عند الله، وخف من صغير ذنوبك أن يحبط الله به عملك كله، وارح بحسناتك أن يمحو الله بها عنك كل سيئة عملتها، فارح بحسناتك<sup>(٤)</sup>، وخف سيئاتك، ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

وينبغي للعبد أن يعرف / ٤٣ ب / عجزه وضعفه، فينقطع سببه عن<sup>(٥)</sup> نفسه، ويرجع إلى العزة<sup>(٦)</sup> والمنعة، ويتوجه إلى الملك<sup>(٧)</sup> القادر على ما يريد بالاعتصام والتوكل، والاستصغار<sup>(٨)</sup> والاستنصار به على الأعداء، فيجد بذلك عنده<sup>(٩)</sup> العز، والروح، والفرح، والمنعة<sup>(١٠)</sup>، ويفوض أمره إلى الملك الجبار، فما اختار له من شيء رضي به وسلم، فإن عرض له بعد ذلك غم أو ترويع علم أنها بلوى من الله، رجع إليه حينئذ بالانكسار والافتقار إليه؛ لما فرط منه، ويطلب الروح والفرح بالتقوى، وهو استماع العبد إلى قول ربه ما أمره به فعله<sup>(١١)</sup>، وما نهاه عنه انتهى، حتى تكون كلها مجموعة له في روضة<sup>(١٢)</sup> واحدة.

(١) «إليك» ساقط من (و).

(٢) في (أ): «غمك ذلك».

(٣) في (و): «فأنت».

(٤) في (أ): «حسناتك».

(٥) في (أ): «من».

(٦) في (أ): «العز».

(٧) في (و): «المالك».

(٨) «والاستصغار» ساقط من (و).

(٩) في (أ): «عند ذلك».

(١٠) «المنعة» ساقط من (أ).

(١١) في (و): «فعل».

(١٢) في (و): «روضة».

فانظريا أخي، لا تدع ما<sup>(١)</sup> فيه المخرج إلا خرجت منه، وما كان مما فرط منك مما لا حيلة فيه إلا الندم والاستغفار: فاندم عليه ندما صحيحا بالقلق منك، والاضطراب في حظوظه<sup>(٢)</sup>، والاجتهاد قبل تفاوت الأيام، وهجوم الموت عليك، وأكثر مع الندم الصحيح ذكر ما ندمت / ١٤٤ / عليه، ولا تغتر أن<sup>(٣)</sup> أمكنك من الاستغفار.

ثم عليك بعد بالتخلص من العائق الذي يشغل عن الله عز وجل<sup>(٤)</sup>، حتى تكون مؤثرا لله على ما سواه، وهذا هو الطريق إلى سبيل النجاة، والله المستعان.

واعلم يا أخي<sup>(٥)</sup> أن من دلالة<sup>(٦)</sup> العقول والعلوم تأسيس التقوى، فإذا كان كذلك، صار إلى حياة<sup>(٧)</sup> القلب قابلا للموعظة؛ معظما لما عظم الله، مصغرا لما صغر الله، فإذا كان كذلك فقد حيي قلبه بالعلم والعمل، ولو أن رجلا أحيي في كل يوم ألف مرة، ويكون بين الحياة والحياة موة<sup>(٨)</sup> لخفت عليه حتى تكون حياة دائمة، تموت بها<sup>(٩)</sup> خواطر نفس ليس لها قرار، والخواطر إذا صُرم أصله<sup>(١٠)</sup> وقُطع، دخل عليه الحزن والبكاء، فلا يكون مسرورا بالعارض، ولا يشتغل بالنعمة عن المنعم بها<sup>(١١)</sup>، فهذه<sup>(١٢)</sup> سبيل النجاة إن شاء الله، والله المستعان.



(٢) في (و): «حوضه».

(٤) في (أ): «جل ذكره».

(٦) في (أ): «دلالات».

(٨) في (أ): «مؤنة».

(١٠) في (و): «حرم أمله».

(١٢) في (أ): «فهذا».

(١) في (أ): «مما».

(٣) في (أ): «ولا تغتر إن».

(٥) «يا أخي» ساقط من (أ).

(٧) «إلى حياة» ساقط من (و).

(٩) في (أ): «به».

(١١) «بها» ساقط من (أ).

باب الخاطر<sup>(١)</sup>

فإذا<sup>(٢)</sup> لم يكن مع العبد تزويج وغم عند الخاطر: / ٤٤ب / فهو ميت، فإذا كان كذلك، فليرجع إلى التقوى، والإخلاص، والصدق، والتخلص<sup>(٣)</sup> مما يكره الربُّ سبحانه<sup>(٤)</sup>.

والحياة تتولد<sup>(٥)</sup> من العلم المفهوم، فإذا علم وفهم العمل بما أمر<sup>(٦)</sup> به قبل الموعظة والنصيحة بتعظيمه ما عظم الله سبحانه عزَّ وجلَّ، والقلب<sup>(٧)</sup> الحي يكفيه غمزة فينتبه، والقلب الميت لو قُرِّض بالمقاريض لم ينتبه ولم يحي، وذلك أن الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وذلك لمن قبل وأجاب الداعي، ومن<sup>(٨)</sup> لم يقبل الموعظة ولم يُجِبِ الداعي فإنه قال عزَّ وجلَّ فيهم<sup>(٩)</sup>: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل: ٢١].

ومن علم أنه ميتٌ فقد حيي بعلمه أنه ميت، ولا ينفعه علمه<sup>(١٠)</sup> إلا بالقبول، وإيثار الربِّ على هواه<sup>(١١)</sup>، فمن كان مقرًّا بأنه عاص، وليس يتحوَّل، ولا معه الترويع والغم الشديد، وهو على حالته التي ليس يرضاها، ولا يبادر التوبة والتطهير: فهو ميت، ولا ينفعه علمه إلا أن يتوب الله عليه قبل موته، فيحيى بالتوبة، ويرجع / ٤٥أ / إلى الرغبة والرَّهبة والطَّاعة.

- |                                 |                                 |
|---------------------------------|---------------------------------|
| (١) «باب الخاطر» ساقط من (أ).   | (٢) في (أ): «وإذا».             |
| (٣) في (و): «ويخلصه».           | (٤) «سبحانه» ساقط من (أ).       |
| (٥) في (أ): «والحياء يتولد».    | (٦) في (أ): «بما أمره الله به». |
| (٧) «القلب» ساقط من (و).        | (٨) في (و): «وفيمن».            |
| (٩) «فيهم» ساقط من (أ).         | (١٠) في (أ): «العلم».           |
| (١١) في (و): «وآثار الرب هواه». |                                 |

وَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا وَفَقَهُ وَنَبِهَهُ<sup>(١)</sup> مِنَ الزَّلَّةِ، وَأَيَّقَظَهُ<sup>(٢)</sup> مِنَ الْغَفْلَةِ، وَإِنَّمَا هَذِهِ كُلُّهَا مَوَارِثُ<sup>(٣)</sup> حُبِّ الدُّنْيَا، وَاتِّبَاعِ الْهَوَى وَطُولِ الْأَمَلِ.

وَقَدْ يَنْبَغِي لِمَنْ كَانَ مَبْتَغِيًا لِنَفْسِهِ<sup>(٤)</sup> طَاعَةَ رَبِّهِ: أَنْ يَرْجُو مَا ثَقُلَ عَلَيْهِ مِنَ الْبِرِّ، وَيَتَّهِمَ مَا خَفَّ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ قَلِيلَ الصَّدَقِ يُثْقِلُ خَفِيفَ الْعَمَلِ، وَالْكَذِبُ مِنَ التَّيِّهِ<sup>(٥)</sup> فِي الْعَمَلِ، يُخَفِّفُ ثَقِيلَ الْعَمَلِ، وَقَلِيلُ الصَّدَقِ أَوْزَنُ وَأَرْجَحُ مِنْ كَثِيرِ الْكَذِبِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ إِرَادَتَكَ الْعَمَلَ<sup>(٦)</sup> عَمَلٌ، فَانْظُرْ فِي إِرَادَتِكَ حَتَّى يَصَحَّ لَكَ عَمَلُكَ، وَيَرَاكَ اللَّهُ لِنَيْتِكَ طَالِبًا وَلَهَا مَصْحَحًا كَمَا يَرَاكَ فِي عَمَلِكَ مَخْلَصًا، فَ«إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»<sup>(٧)</sup>.

وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ ظَفِرْتَ بِتَصْحِيحِ النِّيَّةِ مَعَ قَلِيلِ الْعَمَلِ رِبَحْتَ عَمَلَكَ، وَظَفِرْتَ بِأَكْثَرِ مِنْ عَمَلِكَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ عَدُوَّكَ يَنْظُرُ إِلَى ابْتِدَاءِ نَيْتِكَ، وَابْتِدَاءِ عَمَلِكَ، وَقَدْ يَخْفَى عَلَيْكَ سَقَمُ نَيْتِكَ، كَمَا يَخْفَى عَلَيْكَ سَقَمُ غَيْرِكَ، فَاحْذَرِ أَنْ تَكُونَ نَيْتُكَ / ٤٥ ب / سَقِيمَةً، فَقَمِ عَلَى تَصْحِيحِهَا، فَإِنَّ الْعَمَلَ مُتَابِعٌ لِلنِّيَّةِ<sup>(٨)</sup>، إِنْ صَحَّتْ صَحَّ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ<sup>(٩)</sup>.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَدُوَّ إِذَا رَأَى فِي نَيْتِكَ سَقَمًا رَغِبَكَ فِي ذَلِكَ الْعَمَلِ، وَلَمْ يُثْقَلْهُ عَلَيْكَ، بَلْ يَخَفِّفُهُ<sup>(١٠)</sup> عَلَيْكَ، مَخَافَةَ أَنْ يُفْطِنَكَ بَعْضُهُمْ، فَيُودَ<sup>(١١)</sup> حِينَئِذٍ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ

(١) فِي (أ): «مَنْ أَرَادَهُ اللَّهُ وَفَّقَ وَنَبِهَهُ».

(٢) فِي (أ): «وَيَقْظَهُ».

(٣) فِي (أ): «مَوَارِثُ».

(٤) فِي (أ): «مَبْتَغِيًا بِنَفْسِهِ».

(٥) فِي (أ): «لِلْعَمَلِ».

(٦) فِي (أ): «لِلْعَمَلِ».

(٧) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (رَقْمُ: ١).

(٨) فِي (أ): «النِّيَّةُ».

(٩) فِي (و): «فَسَدَ تَفْسُدَ».

(١٠) فِي (أ): «يُخَفِّفُ».

(١١) فِي (أ): «يُفْطِنُكَ اللَّهُ بِالسَّقَمِ وَوَدَ».

أحبُّوك في ذلك العمل<sup>(١)</sup>، ومدحوك إذا ظفر منك بسقم النية، ويزيدك قوةً ونشاطاً في عملك، ويحسنه عندك، وفي أعين الناس، ويحبِّبهم إليك، فكلما أثنوا عليك استحليت عملك، وخفَّ عليك، وقد ستر عليك<sup>(٢)</sup> داء الحسنات وداء السيئات، ومن داء الحسنات أنه لا يمنعك من تركها إلا مخافة أن تسقط من أعين الناس. واعلم أن ربحه منك إذا سَقِمَتْ نِيَّتُكَ أكثر من ربحه منك إذا أَحَبَّتْ الدنيا، واتَّسَعَتْ منها، ومن داء السيئات سُقْم نيتك.

واعلم أن العدوَّ ربما أفسد الحسناتِ أولاً بسقم النية، وربما أفسدها آخراً بتعظيم الناس لك، فإذا عَلِمَ أنه قد أحبَّ ذلك، وهو لا<sup>(٣)</sup> يجيبه إلى معصية خلاه وذلك، /٤٦/ فاحذر على عملك كله من حيلة الخبيث.

وإذا رأيتَ العملَ قد خفَّ فكن أشدَّ ما تكون له حذراً إذا خفَّ على نفسك العملُ، فهو أفسدُ ما يكون إذا صحَّ عندك.

واعلم أن الشيطانَ أعرَفُ بك وبما<sup>(٤)</sup> تهواه نفسك منك، ولا تدعُ العملَ من أجل آفته، ولكن اعمل بنيةً وصحةً، واستعن بالله، وكن حذراً طالبا للخلاص، كارهاً معانداً لفساد العمل، لا تُريد الثواب إلا من الله وحده وطلب الدار الآخرة، ولا تعمل ليعطيك في الدنيا ثواباً، فإن الذي قدَّر الله عزَّ وجلَّ أن يصل إليك من رزق أو أجر أو ثناء فإنه صائر إليك، فعليك بالصَّدق فاتخذهُ ذُخْراً ليوم ينفع الصَّادقين صِدْقَهُمْ.

وانظر إذا صحَّ عملك عندك، فكن أخوفَ ما تكون من فساده، ولا تأمن عليه من الفساد فيفسده، فإن آفات<sup>(٥)</sup> العمل الأَمْن عليه.

(١) في ذلك العمل «ساقط من (و). (٢) في (أ): «عنك».

(٣) «لا» ساقط من (و). (٤) في (أ): «وربما».

(٥) في (أ): «آفة».



واعلم أن الأمن على الحسنات أضرب عليك من السيئات، [والأمن على السيئات أضرب عليك من السيئات] <sup>(١)</sup>.

واعلم أن أمتك على الحسنات <sup>(٢)</sup> أحب إلى إبليس -لعنه الله- من سيئة، وقنوطك بعد السيئة أحب إلى / ٤٦ ب / إبليس من سيئة، واستصغارك لسيئة كبيرة أحب إليه من سيئة <sup>(٣)</sup> بعد سيئة، واستصغارك لسيئة أردتها ثم تركتها أحب إليه من كبيرة عملتها ثم استغفرت منها <sup>(٤)</sup> لعظمها عندك، فافهم ما ألقى إليك <sup>(٥)</sup> من هذا الباب، واحذره.

واعلم أن إبليس الخبيث يجري على ألسنة الناس مديح <sup>(٦)</sup> الصادق ليفسد عليه صدقه <sup>(٧)</sup>، ويزيد الكاذب في عمله قوة <sup>(٨)</sup> حتى يساوي بين الصادق والكاذب، فاحذر تجديد القوة في العمل عند تجديد المديح؛ فإن له سورة <sup>(٩)</sup> وسلطانا، يزيد الكاذب كذبا، ويفسد على الصادق صدقه.

فلا تظهرنَّ الخوف من قلبك، ولا تظهرنَّ قلة الخوف، فإن إظهارك <sup>(١٠)</sup> قلة الخوف هو من قلة الخوف، وهذا باب فيه فساد للعمل كبير، وهو رياء فيه لطف وله حلاوة.

(١) زيادة من كتاب المدخل لابن الحاج (٣/ ٥٨).

(٢) في (أ): «الحسنة».

(٣) «واستصغارك لسيئة كبيرة أحب إليه من سيئة» ساقط من (و).

(٤) «منها» ساقط من (و). (٥) في (أ): «لك».

(٦) في (و): «بمديح». (٧) في (و): «ليفسد عمله».

(٨) في (و): «قوة في عمله».

(٩) قال ابن فارس: «السين والواو والراء أصل واحد يدل على علو وارتفاع، من ذلك: سار يسور:

إذا غضب وثار، وإن لغضبه لسورة، والسور: جمع سورة، وهي كل منزلة من البناء، مقاييس

اللغة: (٣/ ١١٥). (١٠) في (أ): «إظهار».

وإياك أن تقول: واحزنناه<sup>(١)</sup> على الحزن، وأخاف ألا أكون أخاف، واحزنناه<sup>(٢)</sup> على الأحران؛ فإن هذه أشياء من دقائق مداخل إبليس، والله سائلك عن بكائك، وإظهارك الخوف والحزن، وإظهارك أنك لست<sup>(٣)</sup> بحزين، وإظهارك أنك لا تخاف، وما تُظهر / ١٤٧ / من الانكسار والتواضع، وإظهارك الهَمَّ بأمر الآخرة، وذمك نفسك<sup>(٤)</sup> وبنفسك، ماذا أردت بذلك كله؟

ولإبليس في هذه الخصال مذهبٌ تلبس على كثير من الناس، وهي تُنسب إلى خشوع النفاق، فإن كنت صادقاً فيها، فاحذر إبليس عندها، وفي وقتها حذراً شديداً، والله المستعان.

وانظر كيف يكون احتمالك إذا قال لك غيرك: ما تقول<sup>(٥)</sup> أنت لنفسك من الذم والوقيعة فيها، حتى يتبين لك عند ذلك أصادق أنت في أفعالك أو<sup>(٦)</sup> كاذب؟ فإذا كان باطنك في ذلك<sup>(٧)</sup> كظاهرك لم تبال كيف كان أمرُك، وقم على باطنك أشدَّ من قيامك على ظاهرك، فإنه الموضع الذي الله فيه مطلع<sup>(٨)</sup>، فنظفه وزينه لينظر<sup>(٩)</sup> الله إليه أشدَّ ما تُزين ظاهرك لنظر غيره، فافهم ما أقول لك بعناية منك وقبول.

واعلم أن فرائض جوارحك إنما تقوم بفرائض قلبك.

واعلم أن النية والصدق والإخلاص فريضة تُقام بها الفرائض، / ٤٧ ب / وتُبنى عليها الأعمال، وترك الذنوب فريضة تُقام بها الفرائض<sup>(١٠)</sup>، ولا تقوم

(١) في (و): «وأخذناه».

(٢) في (و): «وأخذناه».

(٣) في (أ): «ليس».

(٤) في (أ): «لنفسك».

(٥) في (أ): «تقوله».

(٦) في (أ): «فعالك أم».

(٧) في ذلك ساقط من (أ).

(٨) في (و): «فيه الله يطلع».

(٩) في (و): «لنظر».

(١٠) «تقام بها الفرائض» ساقط من (أ).

هذه إلا بهذه، ولا تُقبل فريضةٌ ولا نافلةٌ إلا باجتنب المحارم، ولا يتم لك ذلك إلا بإحكام فرائض القلب، كما لا تُقبل نافلةٌ حتى<sup>(١)</sup> تؤدَّى فريضة الطهور قبل الصلاة، وفريضة تطهير<sup>(٢)</sup> ترك المعصية قبل الوضوء، وكلُّ برٍّ فيه معصية فهو مردود، ومحال أن يُتقرب إلى الله بمعاصيه، ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ النُّفُوسُ مِنْكُمْ﴾ [الحج: ٣٥].

واعلم أن الله فرَضَ الإرادة له بالإيمان والأعمال أن<sup>(٣)</sup> يراد بهما<sup>(٤)</sup> وجهه، فأصاب المؤمن الصادقُ بِنَيْتِهِ الفريضتين جميعاً؛ الظاهرة والباطنة.

واعلم أنك إن عملت بما وصفتُ لك، ثم عُرِضْتُ عليك الدنيا بما فيها على أن تظهر حسناتك وترائي بها: ما فعلت.

واعلم أن المريد في ترك الميتة يخاف الله إذا اضطر إليها وهو يقدرها ويعافها<sup>(٥)</sup>، ويخاف الله<sup>(٦)</sup> / ٤٨ / أن يشبع منها، ويخاف منه أن ينال منها، وهو مُسْتغن عنها، ويخاف أن يدخر<sup>(٧)</sup> منها، وهو محتاج<sup>(٨)</sup> إليها، وهو يخاف من الله أن يعصيه فيما أحلَّ له، ويخاف أن يشبع مما أباحه له.

فَمَنْ قام في هذا المقام في أمر<sup>(٩)</sup> الدنيا، فقد بلغ الغاية<sup>(١٠)</sup> من الزهد فيها، وأقام الأشياء كلها التي في الدنيا مقام الميتة، فإنما ينال منها البلُغة عندما اضطرَّ

(١) في (و): «حتى لا»، ولا يستقيم المعنى بذلك.

(٢) «تطهير» ساقط من (أ). (٣) «أن» ساقط من (أ).

(٤) في (أ): «بها». (٥) في (و): «ويعافها».

(٦) «إذا اضطر إليها وهو يقدرها ويعافها، ويخاف الله» ساقط من (أ).

(٧) في (أ): «يؤخر». (٨) في (و): «يحتاج».

(٩) في (أ): «في أهل». (١٠) في (و): «أبلغ به الغاية».

إليها، ويخاف من الله أن يترك<sup>(١)</sup> أخذ تلك البلغة في وقت الضرورة أن يُعَذَّب على تركها، كما يخاف أن يُعَذَّب على أخذ الحرام البين.

واعلم أن تمام الأشياء كلها إنما هو بالقيام بما أمرك الله به<sup>(٢)</sup>، والانتها عما نهاك<sup>(٣)</sup> الله عنه.

واعلم أنه ليس من عقلك أن يأخذ ميتة فتحزن عليها، ولا إن فاتتك<sup>(٤)</sup> حزنت عليها، ولا إن وجدتتها فرحت بها؛ لأنك منها على مقب لها وتقدر منك لها، فإذا خفت منها أن تنالها نفت المخافة التي حلت بقلبك حلاوتها، / ٤٨ ب / وهي الدنيا تأخذ<sup>(٥)</sup> منها بما أقام صلبك، وأديت به<sup>(٦)</sup> فرضك، ودغ ما سوى ذلك منها يكفيكه غيرك، والذي تحتاج إليه من الدنيا يسير<sup>(٧)</sup>، وهو ما تستر به عورتك، وتقيم به صلبك لأداء فرائضك، وما كان وراء ذلك فهو من الدنيا.

ومنتهى طلب الآخرة ترك الدنيا، ومنتهى طلب الدنيا جمع<sup>(٨)</sup> ما أحببت من الدنيا، فإذا رأيتك تأنس بقرب الدينار والدرهم، وتستوحش لفقدتهما، فاعلم أنك محبٌ للدنيا، ومن كان محبا للدنيا، فهو قال<sup>(٩)</sup> للآخرة.



(٢) «به» ساقط من (أ).

(٤) في (أ): «فاتت».

(٦) «به» ساقط من (و).

(٨) في (و): «جميع».

(١) في (أ): «ترك».

(٣) في (أ): «نهي».

(٥) في (أ): «فتجزى».

(٧) في (أ): «يسيرها».

(٩) في (أ): «قالي».

باب الزهد في الدنيا<sup>(١)</sup>

واعلم أن الناس في الزهد على طبقات؛ فمنهم آخذ وهو تارك<sup>(٢)</sup>، ومنهم تارك وهو آخذ، وإنما يحمد ويصحُّ هذا الأمر لمن ترك الدنيا، وزهد فيها بعد قدرته عليها.

ومن الناس من يكون مُصَلِّيًا نائمًا، وآخر نائمًا مُصَلِّيًا، ومفطرًا صائمًا، وصائمًا مفطرًا، وكاسيًا عاريًا، وعاريًا كاسيًا، وإنما ذلك كله على / ١٤٩ / متصرف إرادة القلب، وتصحيح النية، وفساد إرادة القلب، وفساد النية، والسلامة من الكسب الخبيث، والقول الخبيث، وفي هذا كلام يكثر<sup>(٣)</sup> إلا أن من صدق أبصر.

وينبغي للعالم بالله، وبما أمره الله به ونهاه عنه: أن يكون قد ملأت قلبه عظمة الله، فاشتغل بالقيام بحقوق الله عَزَّجَلَّ عن كل فضول الدنيا من الأكل، والشرب، واللباس، والبنيان، والمراكب، والأزواج، والأولاد، والخدم، وإن كان فيهم لمن تكون له الزوجة والولد، وأشياء مما ذكرنا لم يأخذ ذلك على الرغبة، ولم يشغله عن فهم وعد القرآن ووعيده.

واعلم أن القوم لَمَّا وصلُوا إلى ما وصلوا إليه: لم يغترُّوا بدار الغرور، ولم تكن لهم همّة إلا خوف فوات ما شوق إليه وعد القرآن من النعيم في دار الأمان، ووعيد الخلود في دار الهوان، ففي<sup>(٤)</sup> هذا بلاغ لقوم عابدين<sup>(٥)</sup>، وإنما دعا إلى دار السلام من خلقها، وزينها، وحلاها<sup>(٦)</sup>.

(١) في (أ): «باب في الزهد وما جاء فيه». (٢) «وهو تارك» ساقط من (و).

(٣) في (أ): «كثير».

(٤) في (أ): «وعد القرآن ووعيده من الخلود في دار النعيم أو دار الهوان وفي».

(٥) قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٦].

(٦) «وحلاها» ساقط من (أ).

فَخُضْ الغمرات شوقاً / ٤٩ب/ إلى نعيمها، وَأَجِبِ الدَّاعِيَ <sup>(١)</sup> الصادق الوفي بما وَعَدَ ودعاك إليه، فإنه قد حَذَرَكَ نَفْسَكَ وهواك <sup>(٢)</sup>، وأذرك حلول دار سخطه، والتخلص من ذلك كله، والوصول إلى نعيم دار الخلود رَفُضٌ <sup>(٣)</sup> المحبوب من اتباع الهوى فارفضه.

ثم اجْعَلِ الموتَ ضَجِيعَكَ، والزهدَ قَرِينَكَ <sup>(٤)</sup>، والجِدَّ سِلَاحَكَ، والصدقَ مَرْكَبَكَ، والإخلاصَ زَادَكَ، والخوفَ من الله على مَقْدَمَتِكَ، والشوقَ إلى الجنة صاحبَ لَوَاءِكَ، والمعرفةَ على مِیْمَنَتِكَ، واليقينَ على مِیْسَرَتِكَ، والرضا وَزِيرَكَ، والعلمَ مُشِيرَكَ، والتوكلَ دِرْعَكَ، والثقةَ على سَاقَتِكَ، والصبرَ أَمِيرَ جُنْدِكَ، والشكرَ خَلِيلَكَ، ثم انفر إلى عَدُوِّكَ، وَصَافَهُ بِجَمِيعِ مَا ذَكَرْتُ لَكَ، وَأَطِيبْ نَفْسًا عَنْ دَارِ الْهُمُومِ وَالْأَحْزَانِ إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ وَالسُّرُورِ مَعَ الْخَيْرَاتِ الْحَسَانِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ <sup>(٥)</sup>.



(٢) في (و): «وهواه».

(٤) في (أ): «قربتك».

(١) في (أ): «التداعي».

(٣) في (و): «رفق».

(٥) «والحمد لله رب العالمين» ساقط من (و).

باب ما جاء في <sup>(١)</sup> درجات أولياء الله تعالى <sup>(٢)</sup>

فلينظر العبدُ إلى الله تعالى في كل أمره، فإنه مَنْ نظرَ إلى / ١٥٠ / نفسه أو إلى أَحَدٍ من المخلوقين يأمل <sup>(٣)</sup> رجاء منفعة: كان عَزُوبًا لقلبه عن الله، وكان منقوصًا عن منزلة الواثقين المؤيدين.

وقد قال الله عَزَّجَلَّ ذِكْرُه لداود: «يا داود <sup>(٤)</sup> إني قد آليت على نفسي ألا أثيب عبدًا من عبادي إلا عبدًا قد عرفتُ من طَلَبته وإرادته، وإلقاء كَنَفه بيْن يديَّ أنه لا غنى له عني، وأنه لا يطمئن إلى نفسه بنظرها <sup>(٥)</sup> وفعالها إلا وكلته إليها، أضف <sup>(٦)</sup> الأشياء إليَّ، فإني أنا مننتُ بها عليك» <sup>(٧)</sup>.

واعلم أن العباد إنما تفاوتوا، وتباينوا بالنظر إلى الله في أمورهم - في صنعة ومعوته ولطفه - وبالسَّهْو عنه اختاروا لأنفسهم غير <sup>(٨)</sup> نظر ربِّهم، فزادهم ذلك بطئًا <sup>(٩)</sup>، وبُعْدًا من معونة <sup>(١٠)</sup> الله تعالى لهم <sup>(١١)</sup>، وصُنْعِه وتسهيله عليهم.

فكنْ في نظرك إلى ربك ناظرًا لا تأمل غير صُنْعِه، ولا ترجوا غير معونته <sup>(١٢)</sup>، واثقًا باختياره؛ فإن ذلك أقربُ وأسرعُ في معونته لك، فإن الذين قلَّدوا أمورهم ربِّهم، ووثقوا به <sup>(١٣)</sup>، ولجأوا إليه: قد أमतوا من قلوبهم / ٤١ ب / تدبير أنفسهم،

(١) «ما جاء في» ساقط من (و).

(٢) في (أ): «تَبَارَكَ وَتَعَالَى».

(٣) في (أ): «بأمل».

(٤) «يا داود» ساقط من (أ).

(٥) في (أ): «ينظرها».

(٦) في (و): «أخف».

(٧) أخرجه بالفاظ متقاربة أبو إسحاق الختلي في المحبة لله سبحانه (رقم: ٢٤٨).

(٨) في (أ): «على».

(٩) في (أ): «إبطاء».

(١٠) في (و): «معركة».

(١١) «لهم» ساقط من (أ).

(١٢) «ولا ترجوا غير معونته» ساقط من (و).

(١٣) «وثقوا به» ساقط من (و).

وجعلوا الأمور عندهم أسبابًا مع قيامهم بها، والمحافظة عليها، فأولئك ذهبوا بصفو الدنيا والآخرة لسكون<sup>(١)</sup> قلوبهم إليه، فأوجب لهم صنعه<sup>(٢)</sup>، فوجدوا بذلك الرُّوح والراحة.

فهم بالله<sup>(٣)</sup> جهابذة الدين، والعلماء بالله، قد فاقوا على مَنْ سِوَاهُمْ على اطمئنانهم<sup>(٤)</sup> به وسكونه إليه، فأوجب لهم صنعه، وأقام قلوبهم على منهاجه، فما تقلبوا فيه من الأمر<sup>(٥)</sup> فعلى<sup>(٦)</sup> الرِّضا والطمأنينة<sup>(٧)</sup> به<sup>(٨)</sup>، ومَنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْخَلْقِ فِي مَوْنَةٍ وَتَعَبٍ مِنْ أَنْفُسِهِمْ حَيْثُ اخْتَارُوا لَهَا<sup>(٩)</sup>، وتوكلوا عليها، فأورثتهم الهمَّ والاعتماد.

وأما أهل العبودية لله فهم الذين قَلَدُوهُ أُمُورَهُمْ، وخرجوا من طبائع العباد بما<sup>(١٠)</sup> تَبَيَّنَ لَهُمْ مِنْ خَطَا مَنْ اخْتَارَ لِنَفْسِهِ<sup>(١١)</sup>، فجعلوا اختيارهم الرِّضا بما صَيَّرَهُمُ اللَّهُ إِلَيْهِ مِنْ أُمُورِهِمْ، فزالت الغُموْمُ عَنْ قُلُوبِهِمْ، فأوجب لهم الصُّنْعَ<sup>(١٢)</sup> والتوفيقَ في أحوالهم، وأورثتهم الغنى والعزَّ في قلوبهم، وسَدَّ عَنْهُمْ أَبْوَابَ الْحَاجَاتِ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ، وَأَتَتْهُمْ الْطَّافُ<sup>(١٣)</sup> اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ<sup>(١٤)</sup>، وقام لهم بما يكتفون به، ونَزَّهَ أَنْفُسَهُمْ عَمَّا سِوَى ذَلِكَ إِكْرَامًا لَهُمْ عَنْ فُضُولِ

(١) في (و): «بسكون».

(٢) «فأوجب لهم صنعه» ساقط من (أ).

(٣) «بالله» ساقط من (أ).

(٤) في (أ) و (و): «اطمأنيتهم».

(٥) «على اطمأنيتهم به وسكونه إليه ... فما تقلبوا فيه من الأمر» ساقط من (و).

(٦) في (و): «على».

(٧) في (و) و (أ): «والإطمئنانة».

(٨) «به» ساقط من (أ).

(٩) «لها» ساقط من (و).

(١٠) في (أ): «لما».

(١١) في (و): «نفسه».

(١٢) الصنع: العمل، ولا يُنسب إلى حيوان أو جماد، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ مُجْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ٩٩]. المعجم الوسيط (١/ ٥٢٥).

(١٣) في (أ): «لطائف».

(١٤) في (أ): «لا يحسبون».



الدنيا، / ٤٢/ وطهارة لقلوبهم عن التشاغل بما أغناهم عنه، فحَصَّنهم<sup>(١)</sup> عن كل دَنَس، وأمَّشاهم في طُرقات الدنيا مطمئنين، مُوالين له.

فهم أشهر في السماوات<sup>(٢)</sup> منهم في الأرض، ولأصواتهم هناك<sup>(٣)</sup> دَوِيٌّ ونور يُعرفون به، ويحيون عليه، وقد رفع أبصار قلوبهم إليه، فهي ناظرة إليه، فتلك<sup>(٤)</sup> القلوب غير محجوبة عنه بلا إدراك منهم لصفة ولا صورة، ولا حد ولا إحاطة منهم به سبحانه، ولكن كيف شاء ذلك لهم فأحبَّهم، وحبَّهم إلى ملائكته وسائر خلقه.

وقد قال الله عزَّ وجلَّ<sup>(٥)</sup>: «يا داود تفضَّل على عبادي أكتبك من أوليائي وأحبَّائي، وأباهي بك حملة عرُشي، وأرفع الحُجب بيني وبينك، فتنظر إليَّ ببصر قلبك، لا أحجبك عن ذلك ما كنت مُستَمسكا بطاعتي»<sup>(٦)</sup>.

[وما أحدث الله] من بلاء أو مصيبة أو رخاء أو شدة مما أحب أو أكره، كان قلبه بذلك راضيا لموضع الثقة بربه<sup>(٧)</sup> وحُسن الظن به، فإذا كان العبدُ / ٤٢ب/ كذلك ورَّث الله قلبه المحبة له والشوق إليه، وصار إلى منزلة الرضا بما كفاه وحماه من الدنيا وإن قلَّ، وأخرج من قلبه مطامع المخلوقين فاستغنى بالله، فجعله<sup>(٨)</sup> الله من أولي الألباب، ثم ألهمه الله علما من علمه، فعرفه ما لم يكن يعرفه، وعلمه ما لم يكن يعلمه، فعن الله أخذ علمه، وبأمر الله جل ذكره

(١) في (أ): «فحصنهم»، وفي الهامش: «خ: فحصنهم».

(٢) في (أ): «فهم في السماوات أشهر». (٣) في (أ): «هنالك».

(٤) في (أ): «بتلك». (٥) في (أ): «تَبَارَكَ وَتَعَالَى».

(٦) أخرجه بالفاظ متقاربة أبو إسحاق الختلي في المحبة لله سبحانه (رقم: ٢٤٨).

(٧) في (أ): «لربه».

(٨) في (و): «جعله».

تأدّب، فظهرت أخلاقه لما أثر أمر الله، ولجأ إليه، فتمت عليه نعمة الله في الدنيا والآخرة.

فأولئك المحبوبون<sup>(١)</sup> في أهل السماوات، المعروفون<sup>(٢)</sup> فيها، خفي أمرهم على أهل الأرض، وظهر أمرهم لأهل السماوات، لكلامهم هناك<sup>(٣)</sup> دوي، ولبكائهم حنين، وتقعقع لهم أبواب السماء من سرعة تفتّحها إجابة لدعائهم. فعظم بهم عند الله جاهًا ومنزلة، وعظم بهم خوفًا من الله وحسن ظنّ به، فهم مشرورون بربهم، قريرة أعينهم، طربة قلوبهم بذكره، مشتاقة، ساكنة، مطمئنة إليه، قد تقدموا الناس، وانقطع الناس عنهم، وأشرفوا على الناس، واشتغل<sup>(٤)</sup> الناس عنهم، فعجبوا من الناس، / ١٤٣ / وعجب الناس منهم، وانقطعوا إلى الله بهمومهم وأهوائهم، وعلّقوا به قلوبهم، ولجّوا إليه<sup>(٥)</sup> لجأ المستغيثين به، الواصلين به<sup>(٦)</sup>، المتوكلين عليه.

وقد تخلصت إليه عقولهم<sup>(٧)</sup> بالموّدة، فأنزلوا إليه<sup>(٨)</sup> نسيانه معصية<sup>(٩)</sup> محرمة عليهم<sup>(١٠)</sup> فقبلهم، واجتباهم، وصانعهم، وحصّتهم<sup>(١١)</sup>، وكفاهم، وآواهم، وعلمهم، وعرفهم، وأسمعهم، وبصّرهم، وحجبهم عن الآفات، وحجب الآفات عنهم، وأقامهم مقام الطهارة، وأنزلهم منازل السلامة، وأقام قلوبهم

(١) في (و): «المحبون».

(٢) في (و): «المعروفين» بالرفع. (٣) في (أ): «هنالك».

(٤) في (أ) و (و): «وأُسفل»، والأولى والمناسب للسياق ما أثبتناه.

(٥) في (أ): «إلى الله». (٦) «الواصلين به» ساقط من (أ).

(٧) في هامش (أ): «خ: قلوبهم». (٨) «إليه» ساقط من (أ).

(٩) في (أ): «معصية». (١٠) في (و): «عليه».

(١١) في (أ): «وصنعهم وخصهم».

بذكره، فلم<sup>(١)</sup> يريدوا به بدلا، ولا عنه حولا، صبا<sup>(٢)</sup> إليه، وطربا واشتياقا إليه، قد أذاقهم من حلاوة ذكره، وألغىهم من لذّة<sup>(٣)</sup> مناجاته، وسقاهم بكأسه، فهم ولّهون<sup>(٤)</sup> إليه، ليس لهم سكن<sup>(٥)</sup> غيره، تضطرب قلوبهم عند فقده، حتى ترجع إلى موضع حنينه<sup>(٦)</sup>، يحتملون الأشياء إليه<sup>(٧)</sup>، ولا يحتملون شيئا من غروب<sup>(٨)</sup> أمره.

ولهم في كل يوم وليلة منه هدايا مجدّدة، فتارة يغلب على قلوبهم / ٤٣ ب / تعظيم ربهم وجلاله، وتارة يغلب على قلوبهم قدرته وسلطانه، وتارة يغلب على قلوبهم آلاؤه ونعمائه، وتارة يغلب على قلوبهم تقصيرهم في واجب حقه، وتارة يغلب على قلوبهم رأفته ورحمته، وتارة يصيرون إلى حنينه، ولهم في كل تارة دمة ولذة، وفي كل دمة ولذة فكرة وعبرة، وقلوبهم في كل<sup>(٩)</sup> فكرة وعبرة مُهتاجة<sup>(١٠)</sup>، طربة، هائمة بذكر<sup>(١١)</sup> الله، مُشغلة به عما سواه، فهم يسقونها من كل تارة مشربا سائغا<sup>(١٢)</sup>، يُذيقهم الله لذته.

ولهم في كل مقام علم زيادة، يُعرفهم ما يحدث لهم في قلوبهم من الزيادة، فلو رأيتهم وقد تقطعت آمال الخلق عندهم<sup>(١٣)</sup>، وأفضوا إلى الله جل ذكره بجميع رغباتهم، وانزاحت الأشياء الشاغلة عن قلوبهم، فصمّت عنها

(١) «فلم» ساقط من (أ).

(٢) في (أ): «صبا».

(٣) في (و): «لذاذات».

(٤) في (أ): «سكنا» بالنصب.

(٥) في (أ): «له».

(٦) في (أ): «سائغا» ساقط من (و).

(٧) في (أ): «لذكر».

(٨) في (أ): «عنه».

(٩) في (أ): «صيانة».

(١٠) في (أ): «ولهم».

(١١) في (و): «جبينه».

(١٢) في (أ): «غروب».

(١٣) في (و): «مهياجة».

(١٤) «سائغا» ساقط من (و).

أسماعُهم، وانصرفت أبصارُهم<sup>(١)</sup> إليه، فلمت به عمن<sup>(٢)</sup> سواه، حتى إذا جنَّهم الليل، وزجرهم القرآن بعجائبه من وعده ووعيده، / ١٤٤ / وأخباره وأمثاله: شربوا من كل نوع كأساً من الزجر، والتحذير، والأخبار، والأمثال، والوعد، والوعيد، وشربوا<sup>(٣)</sup> ووجدوا حلاوة ما شربوا، حتى إذا صفا يقينُهم ارتفعوا إلى عظمة سيدهم، وجلال مولاهم، خضع كل عضو منهم لمليكه<sup>(٤)</sup>، وخشعت<sup>(٥)</sup> كل جارحة منهم لسكونها<sup>(٦)</sup>، غير منتشرة عليهم همومهم، بل كل ذلك لذادة لاستماعه.

فقد كشف لهم القرآن عن أموره، ويكشفونه عن عجائبه، ويدلهم على باطن علمه فيفهمونه، فيسْمُوا بهم إلى جلال سيدهم ووقاره، حتى إذا تقاررت<sup>(٧)</sup> الأنوار في قلوبهم، وتمكَّن اليقين من أجوافهم، وحنَّت القلوب بحنينها، وضائق عن احتمال ما قد<sup>(٨)</sup> هجم عليها، هاج عليهم<sup>(٩)</sup> ما لا يملكون إمساكه. فلما بلغ الأمرُ منهم مداه، وانتهى كل شيء منهم منتهاه: أقبل عليهم ربُّهم جَلَّ ذِكْرُه بالطمأنينة والسكون، فلولا حُسن سياسته لهم، ونظره ولطفه بهم، ما رَجَعَتْ إليهم عقولهم، ولا أثبتوا / ١٤٤ / ب / معارفهم، وما سكنوا منازلهم؛ للذي هجم على أبصار قلوبهم من عَظْمَةِ سيدهم، فهم يزدادون له ذِكْراً، ومودة، وحباً<sup>(١٠)</sup> في كل ما امتحنهم به من أمر الدنيا والآخرة.

- |                             |                        |
|-----------------------------|------------------------|
| (١) في (أ): «أبصار قلوبهم». | (٢) «من» ساقط من (أ).  |
| (٣) «وشربوا» ساقط من (أ).   | (٤) في (أ): «لملكه».   |
| (٥) في (و): «وخشعت».        | (٦) في (و): «بسكونها». |
| (٧) في (و): «تقاربة».       | (٨) «قد» ساقط من (أ).  |
| (٩) في (أ): «منهم».         | (١٠) في (و): «وحياء».  |

فقد أَعْرَضُوا عَنْ ذِكْرٍ<sup>(١)</sup> كل نعيم عاجل وآجل<sup>(٢)</sup>، وتشاغلوا بالنعيم بذكر مولا هم، وكل ذلك مِنَّةٌ مِنْهُ وَتَفَضُّلٌ عَلَيْهِمْ، فهم أدِلَاءٌ للعباد وأعلام في بلاده<sup>(٣)</sup>، وَحُجَّةٌ لَهُ عَلَى خَلْقِهِ، وَخَلَفُ الْأَنْبِيَاءِ<sup>(٤)</sup>، وودائع علمه، فبهم يُنْزَلُ الْغَيْثُ، وبهم يُصْرَفُ الْعَذَابُ، وبهم يُنْصَرُ عَلَى الْعَدُوِّ<sup>(٥)</sup>.

فهم بركة بين ظهراني العباد، يحبون الله، ويحبون ذكره، أقاموا مشيئتهم<sup>(٦)</sup> فيما وافق محبة ربهم، يَغْضَبُونَ لَغَضْبِهِ، وَيُحِبُّونَ لِمَحَبَّتِهِ، فهو<sup>(٧)</sup> يسوسهم بسياسته، ويُوَفِّقُهُمْ بِتَوْفِيقِهِ، يَأْتِيهِمُ الْعَوْنُ مِنْ رَبِّهِمْ<sup>(٨)</sup>، في كل حال يَرْحَمُونَ الْخَلْقَ بِرَحْمَةِ رَبِّهِمْ، وَيَأْمَلُونَ<sup>(٩)</sup> فضله لهم<sup>(١٠)</sup>.

قد أزال<sup>(١١)</sup> عن قلوبهم المطامع، وأسكنها الغنى، فاكتفوا بما جزاهم، وَتَبَلَّغُوا بِمَا بَلَغَهُمْ، فهم القانتون، الرّاهبون، السّائحون، الرّاغبون، المحبون لله، الذين فَكَّرُوا / ٤٥ / في قدرته، وعملوا في محبته حتى ورثوا الرّهبة<sup>(١٢)</sup>، ثم ورثوا الرغبة<sup>(١٣)</sup>، ثم ورثوا بعد الرّغبة الشّوق، ثم رفعهم إلى منزلة لم يكن لهم في غير ربهم نهمة<sup>(١٤)</sup>، فَغَلَبَتِ الْمَحَبَّةُ<sup>(١٥)</sup> على قلوبهم، واستولت على عقولهم

(١) «ذكر» ساقط من (أ). (٢) في (أ): «أو».

(٣) في (و): «في عباده». (٤) في (أ): «للأنبياء».

(٥) ويطلق عليهم: الأبدال، أخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٩٨/١) عن أبي الزاهرية قال: «الأبدال ثلاثون رجلا بالشام، بهم تجارون، وبهم ترزقون، إذا مات منهم رجل أبدل الله عَزَّجَلَّ مكانه».

(٦) في (و): «مشيئة». (٧) «فهو» ساقط من (أ).

(٨) في (أ): «من الله». (٩) في (أ): «ويؤملون».

(١٠) «لهم» ساقط من (أ). (١١) في (و): «زال».

(١٢) «ثم ورثوا الرّغبة» ساقط من (و). (١٣) «ثم ورثوا الرّغبة» ساقط من (و).

(١٤) في (أ): «تهمة». (١٥) في (أ): «غلبت»، و«المحبة» ساقطة منها.

وأهوائهم، فبنوا على ذلك أعمالهم، وصيروا فيه جميع رغباتهم، ثم رفعهم إلى مزيد فوائدهم<sup>(١)</sup>.

فهم أولياء الله حقاً؛ منهم المرسلون، والنبيون، والصديقون، والشهداء، والصالحون<sup>(٢)</sup>، فأقوا أهل السماء<sup>(٣)</sup> وأهل الأرض لشدة حُبِّهم لربِّهم، فما أصابوا من الدنيا لم يصيبوه على جهة ما يصيبه<sup>(٤)</sup> أهل الدنيا من التلذذ والطرب إليه، والاشتغال به والتفكُّه، إنما يُصيّبونه على مَوْضِعِ التقوية على عبادة ربِّهم، ويودّوا لو أنهم أكلوا من الدنيا أكلة واحدة<sup>(٥)</sup> تكون آخر زادهم منها، اكتفوا بما قَلَّ وكفاهم، فلما أعطوا الله ذلك من قلوبهم ضَيَّقَ أمعاءهم، وأسقط عنهم شهواتهم، فاكتفوا<sup>(٦)</sup> باليسير من المطعم.

فعند ذلك خَفَّتْ عنهم<sup>(٧)</sup> مؤنة الدنيا، فلم ينافسوا / ٤٥ ب / فيها أحداً، فتلك حالاتهم في المطعم<sup>(٨)</sup> والملبس، ما تهيأ<sup>(٩)</sup> أكلوه ولبسوه، ليس لهم فيه<sup>(١٠)</sup> تخيير، ولا تلذُّذ في أخذٍ ولا تركٍ؛ خَوْفُ الشهوة والاشتغال عمّا هم فيه، فأَسْكَنَ الله قلوبهم من معرفته وحبه ما أذاب كل مَوَدَّةَ لأهل أو ولدٍ أو مال، فإن عَرَضَ مِنْ ذلك في قلوبهم عارض، فمن خاطر<sup>(١١)</sup> من غير ثَبَتٍ<sup>(١٢)</sup> فيها.

وَرِثُوا نور<sup>(١٣)</sup> الهدى<sup>(١٤)</sup> فأبصروا مواضع حيل<sup>(١٥)</sup> إبليس ومكره، فكسروا

(١) في (أ): «إلى مزيدة وفوائده».

(٢) في (و): «أهل الدنيا».

(٣) في (و): «أهل الدنيا».

(٤) في (أ): «عليهم».

(٥) «أكلة واحدة» ساقط من (و).

(٦) في (أ): «تتأيا».

(٧) في (أ): «فبخطر».

(٨) في (و): «نور» ساقط من (و).

(٩) في (أ): «هوى».

(١٠) «حيل» ساقط من (و).

(١) في (و): «الصالحين».

(٢) في (و): «يصيبوه».

(٣) في (أ): «واكتفوا».

(٤) في (و): «المطعم».

(٥) «فيه» ساقط من (أ).

(٦) في (و): «ثبت».

(٧) في (أ): «الهوى».

عليه كيده، ولَبَسُوا عليه أمره، ودَلُّوا النَّاسَ على مواضع مَكْرِهِ، فهم نصحاء الله في عبادته، وأمناؤه في بلاده، ثم أسكن محبَّتهم في ملكوت السماء في عليين، فحبَّهم وحبَّهم إلى ملائكته.

فأحيوا قلوبكم أيها المریدون بالذِّكر، وأميتوها بالخشية، ونورُوها بحب لقاء الله، وفرَّحوها بالشُّوق إليه، واقمعوها بالمناصحة.

واعلموا أنكم بالمحبة ترتفعون، وبالمعرفة ترهبون، وبالشوق ترغبون، وبحُسن النية تقهرون الهوى، وبترك الشهوات تصفوا لكم أعمالكم، وتوثرون ربكم وحده<sup>(١)</sup>، حتى / ١٤٦ / يورثكم<sup>(٢)</sup> ملكوت السماء في عليين.

فمن كان منكم مريدًا للراحة، فليعمل في منازل أهل محبة الله جل ذكره بعزم، وإرادة قوية<sup>(٣)</sup>، وهي الدرجات السبع التي ينتقل فيها بنو آدم حتى يصيروا إلى المعرفة والعلم، وهي الدرجات التي أرسل الله جل ذكره عليها الرُّسل، ثم الأنبياء، ثم<sup>(٤)</sup> الذين لم يأتهم الوحي مع جبريل ﷺ، ولا غيره من الملائكة، إنما يكون<sup>(٥)</sup> ذلك بالإلهام من الله عزَّ وجلَّ والفوائد، وإنما ورثوا ذلك الأنبياء من المرسلين الذين خصَّهم الله برسالته<sup>(٦)</sup>، ثم ورثوا ذلك الأنبياء الصديقين<sup>(٧)</sup> من بعدهم فاقتدوا بهم، وأخذوا<sup>(٨)</sup> في آثارهم، فإنه لم يحكم هذه

(١) «وتوثرون ربكم وحده» ساقط من (و).

(٢) في (و): «تورثكم».

(٣) في (أ): «وقوة».

(٤) «ثم» ساقط من (أ).

(٥) في (أ): «إنما كأن يكون».

(٦) ورد في (و) بعد هذا: «ثم ورثوا ذلك الأنبياء من المرسلين الذين خصَّهم الله برسالته»، وفيه

تكرار.

(٨) في (أ): «وجدوا».

(٧) في (و): «الصديقون».

الدرجات السبع إلا نبي، أو رسول<sup>(١)</sup>، أو صديق، أو بديل من الأبدال<sup>(٢)</sup> الذين جعلهم الله أوتاد الأرض، فسقى بهم الغيث، وأنزل عليهم بدعائهم الرحمة، وصرف عنهم بهم السوء.

فمن كان مُريدًا للعمل / ٤٦ ب/ في هذه الدرجات، والاقتداء بالمرسلين والنبيين والصديقين في سيرتهم، فليرفض الدنيا من قلبه، حتى لا يكون منها فيه علاقة تشغله عن ربّه، فإن<sup>(٣)</sup> من تعلق قلبه بشيء منها شغلته حتى تغلب عليه، فليبدأ برفض الدنيا وطرحها<sup>(٤)</sup> من قلبه، حتى لا تعدل عنده فيس<sup>(٥)</sup> جناح بعوضة، فإنها عند الله عز ذكره بتلك المنزلة وأصغر.

### أول ذكر الدرجات السبع<sup>(٦)</sup>

وليكن أول ما يتناول من الدرجات؛ درجة المعرفة، وهو أن يعرف ربّه كما ينبغي له، ومن حيث تعرّف إليه ربّه، فقد تعرّف إلى خلقه بخلقهم إياهم، وتدبيره فيهم، وبكتابة المنية<sup>(٧)</sup> على خلقه وتدبيره في خلقه<sup>(٨)</sup>، وبصفته بما وصف به نفسه، فإنه غفور رحيم لمن أناب إليه وطلب رضاه، وإنه شديد العقاب لمن كذب به، وكذب عليه، وعصاه وكذب رُسُلَه.

واعلم أنه من لم يكن<sup>(٩)</sup> يحكم أمر المعرفة لم يدرك ما سواها من العلم

(١) في (أ): «رسول ونبي».

(٢) أخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق (١/ ٢٩٨) عن أبي الزاهرية قال: «الأبدال ثلاثون رجلاً بالشام، بهم تجارون، وبهم ترزقون، إذا مات منهم رجل أبدل الله عز وجل مكانه».

(٣) في (أ): «فإنه».

(٤) في (و): «ب طرح الدنيا».

(٥) بمعنى قَدَّر.

(٦) هذا العنوان ساقط من (و).

(٧) في (و): «بكتابة المنه»، ولعل ما أثبتناه هو الصواب.

(٨) «وبكتابة المنية على خلقه وتدبيره في خلقه» ساقط من (أ).

(٩) «يكن» ساقط من (و).



والعمل، ولا من الدرجات التي ذكرنا، ولا تكن<sup>(١)</sup> المعرفة حتى / ٤٧ / تثبت في القلب باليقين الراسخ، فإذا كان ذلك كانت الأعمال الخالصة على قدر المعرفة، فإن قصر في المعرفة كان في العمل أشدَّ تقصيرًا، وأضعف لنيته، ولم يجد السبيل إلى بلوغ تلك الدرجات.

وَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ، عَلِمَ<sup>(٢)</sup> أنه قائمٌ على نفسه بما كسبت<sup>(٣)</sup>، وأنه معه يراه في جميع أحواله.

فإذا علم أن ذلك كذلك، لم يكن شيءٌ أحبَّ إليه من رضى ربه<sup>(٤)</sup> ولقائه، ولا شيء<sup>(٥)</sup> أبغض إليه من معصيته وبقائه، فإن<sup>(٦)</sup> أحبَّ البقاء في الدنيا لم يُحِبَّه إلا للعمل بطاعته، ولينظر المريد للمعرفة في أسماء الله جل وعزَّ، ويتدبرها<sup>(٧)</sup> حتى يعرفه بها، ويدخل ذلك قلبه، فإنه يُورث قلبه بذلك العلم، وهي الدرجة الثانية. فإذا كان عالما به، عَلِمَ أنه لا يقبل منه<sup>(٨)</sup> إلا ما أمره به، ونهاه عنه، وعلم ذلك عنده أنه يُنشطه للعمل الصالح.

ثم يورث<sup>(٩)</sup> قلبه بعد ذلك الخشية، وهي الدرجة الثالثة؛ درجة التقوى، يقول<sup>(١٠)</sup> الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، / ٤٧ ب / وهي مراقبته في السر والعلانية، فإذا دخل في هذه الدرجة الثالثة<sup>(١١)</sup> استقل كل

(١) طرة في (أ): «صوابه: تكون».

(٢) في (و): «عرف».

(٣) في (أ): «قلبه بما كسب».

(٤) في (أ): «راضائه»، وفي الهامش: «خ: رضى ربه».

(٥) «شيء» ساقط من (أ).

(٦) في (أ): «وإن».

(٧) في (أ): «وليتدبرها».

(٨) «منه» ساقط من (و).

(٩) «يورث» ساقط من (أ).

(١٠) في (أ): «لقول».

(١١) «الثالثة» ساقط من (أ).

ما يفعل<sup>(١)</sup> لله جل ذكره، فعند ذلك لا يَأْلُو جِدًّا واجتهادا<sup>(٢)</sup>، ولا يمل، فإذا وصل العبدُ إلى ذلك، ودَأَّبَ على عمله فيما يُرضي به<sup>(٣)</sup> ربَّه: نظر الله إليه بعين الرحمة<sup>(٤)</sup>، فعند ذلك يُورث قلبه الحب لله، وهي الدرجة الرابعة.

فإذا وصل<sup>(٥)</sup> إلى هذه الدرجة أثر حبَّ الله على حبِّ جميع<sup>(٦)</sup> خلقه، وأحبَّه الله من فوق عَرْشِهِ، وحَبَّبه إلى ملائكته [الذين] حول عرشه، وإلى ملائكة السماواتِ كُلِّها، وأهل الأرض ومن فيها، وبَسَطَ حُبَّهُ على الماء، فلا يشربُ الماء أحدٌ إلا أحبَّه من جميع خلقه، ولا يزداد في عَمَلِهِ إلا جِدًّا واجتهادا، ثم يُورث قلبه بعد هذا: الشوقُ إليه والحبُّ للقاءه، وهي الدرجة الخامسة.

فيكون بمنزلة العاشق الذي<sup>(٧)</sup> غلب على قلبه الذكر لله، وشُغل عن كثير من العمل ما خلا الفرائض، واجتناب المحارم، ويكون في تلك<sup>(٨)</sup> الحال / ١٤٨ / أقوى من كل عامل في الدنيا وأرفع منزلة؛ لأنه لم يتفرَّغ قلبه من ذكر ربِّه طرفة عين؛ نائما ولا قائما، آكلا ولا شاربًا، والله لا ينسى مَنْ ذَكَرَهُ، فلو تركه الله على تلك الحال لذاب كما يذوب الملح في الماء، ولَمَّا انتفع بشيء من أمور الدنيا حتى يموت شوقا<sup>(٩)</sup> إلى الله، إلا أنه إذا رآه الله على تلك الحال منَّ عليه بالطمأنينة<sup>(١٠)</sup>، وهي الدرجة السادسة.

فيطمئنُّ قلبه حتى يكون كأنه مُعَاين له، وكأنه بين يديه، فيكون هو مُسْتودَعه، وأنيسه، وسائسه، ودليله، فعند ذلك يُورثُ الغنى، ولن<sup>(١١)</sup> يحتاج إلى غير تلك

(١) في (أ): «يعمله».

(٢) في (أ): «ولا اجتهدا».

(٣) «به» ساقط من (أ).

(٤) في (أ): «صار».

(٥) في (أ): «قد».

(٦) في (أ): «تسوقا».

(٧) في (أ): «وليس».

(٨) في (أ): «ولا اجتهدا».

(٩) في (أ): «ولا اجتهدا».

(١٠) في (أ): «ولا اجتهدا».

(١١) في (أ): «ولا اجتهدا».

الحال، فيكون أعظم دعائه<sup>(١)</sup> للخلق بالإصلاح<sup>(٢)</sup>، وصرّف الشّوء عنهم، حتى يصير بمنزلة الملائكة الذين يُسَبِّحُونَ الليل والنهار لا يفترون<sup>(٣)</sup>، ويستغفرون لمن في الأرض<sup>(٤)</sup>، فعند ذلك لا تسقط له دعوة، وهي الدرجة السابعة.

فإذا صار إلى تلك الحال، لم يتفوّه بشيء من حوائجه إذا خَطَرَتْ بِيَالِه، حتى تصير بين يديه، / ٤٨ ب / وإلى ما أراد منها من غير أن يدعو بشيء، ثم<sup>(٥)</sup> يأتيه من حوائجه ما لم يَخْطُرْ له على بال، لطفاً من الله وتعهّداً منه<sup>(٦)</sup>، حتى يعجب من لُطْفِهِ ونَظَرِهِ وصُنْعِهِ، فيكون قوله عدلاً، وفِعْله رضا<sup>(٧)</sup>.

فالحمد لله الذي مَنّ والاه نَعَمَهُ وأَغْنَاهُ<sup>(٨)</sup>، والحمد لله رب العالمين.



- 
- (١) في (و): «دعاء».
- (٢) في (أ): «بالصلاح».
- (٣) «لا يفترون» ساقط من (و).
- (٤) في (أ): «المن الأزل»، وهو خطأ ظاهر.
- (٥) «ثم» ساقط من (أ).
- (٦) «منه» ساقط من (و).
- (٧) نقل هذه الفقرة عن المؤلف ابن شق الليل في كتاب الدلالة على صِحِّهِ الإجابات وإثبات الكرامات (١٤٨).
- (٨) في (و): «مَنّ والاه نَعَمَهُ أَغْنَاهُ».

## [خاتمة في منازل الزهاد]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ<sup>(١)</sup>

سئل رجل من أهل العلم ف قيل له: أوضح لنا المنزلة [التي]<sup>(٢)</sup> ينال العبادُ بها القربة من ربهم، ويقولون على معرفته<sup>(٣)</sup>، ويبلغون بها رضوانه، والأمر الذي يُقرَّبهم إليه، ويقصر بهم عنه إيضاحاً شافياً، حتى يكون ذلك عندنا بيناً؟

فقال: سأوضح لك ذلك - إن شاء الله -، فافهم قولي بفهم لا يُخالطه سهو، وتذكر فيه بذكر<sup>(٤)</sup> لا يُخالطه غفلة، واصبر عليه صبراً لا يُخالطه جزع، فإنك إن تفعل ذلك ينهج لك مناهج الطريق، وتسلم من تقصير طريق الهلكة، والتوفيق بالله.

اعلم أن الأمور مبتدأها والذي لا يُنتفع بشيء إلا به: العقل الذي جعله الله جلّ ذكره زينة لخلقه، ونوراً لهم، فبالعقل عرّف العبادُ خالقهم، وأنهم مخلوقون، وأنه المُدبِّر وهم المُدبَّرون، وهو الباقي وهم الفانون.

واستدلوا بعقولهم بما رأوا من خلقه في أرضه، وسماؤه، وشمسه، وقمره، وليله، ونهاره، وعلموا أن لهم ولهذا الخلق خالقاً، وأن لذلك كلّ مدبِّراً، وأنه لم يزل ولا يزال، وعرفوا به الحسن من القبيح، وعلموا أن الظلمة في الجهل، والنور في العلم، هذا ما دلّهم عليه العقل.

فقيل له: كيف يكتفي العبادُ بالعقل دون غيره؟

فقال: إن العاقل دلّه عقله - الذي جعله الله قوامه وزينته - أن له ربّاً، وعلم

(١) من هنا إلى قيد الفراغ من الكتاب ساقط من (و).

(٢) زيادة يقتضيها السياق من المدخل لابن الحاج.

(٣) في (أ): «معرفة». (٤) في المدخل لابن الحاج: «بتذكر».

أن ربه لم يخلقه عبثاً، وأنه لم يخلق خلقه لعباً، وعَلِمَ أن لخالقه مَحَبَّةً وكرَاهيةً، وأن له طاعةً ومعصيةً، فلم يجد عقله يدله إلا على ذلك.

وعلم أنه لا يوصل إليه إلا بالعلم وطلبه، وأنه لا ينتفع بعقله إن لم يطلب ذلك ويعلمه، فَوَجَبَ على العاقل طَلَبُ العلم والأدب، وهو الذي لا قِوام له إلا به.

فقل له: صِفْ لنا ما هذا العلم الذي لا ينبغي للعاقل إلا طلبه، ولا يجوز له التقصير بنفسه عنه؟

فقال: طلب العلم الذي جاءت به رُسُله وأنبياءُه عنه: من أمره، ونَهْيِه، وَوَعْدِه، ووَعِيدِه، وملائكته، وكُتُبِه، ورُسُله، وَجَنَّتِه، وناره، وَبَعْثِه، وحِسَابِه، وحلاله، وحرامه، وطاعته، ومعصيته، وَمَحَبَّتِه، وكرَاهتِه.

فقل له: فهل يكتفي العالم بما عَلِمَ من ذلك أو يحتاج إلى غيره؟

فقال: لا ينتفع العالم بما علم من ذلك دون الإيمان به، وأن يُقر ذلك في قلبه، حتى يعلم أن الله هو الحق، وأن ما سواه باطل، وأنه الرُّشد، وأنَّ ما سواه الغي، وأنَّ أحدًا لا يملك له نفعًا لم يُقدِّرْ له، ولا ضرًّا لم يكتبه عليه.

فقل له: فهل يجب عليه بعد الإيمان غير ذلك أو<sup>(١)</sup> يكتفى به؟

قال: نعم، إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أمر عباده بالطاعة والعبادة له، والعمل بها، ونهاهم عن معصيته وركوبها، فمن آمن ولم يعمل كان متهاوناً، ولا يقبل الله الإيمان إلا بالعمل بما أقرَّ به -يعني القلب-، وتصديق الإيمان العمل به، ولا ينتفع العباد بالإيمان دون العمل بما أقرَّ به القلب وتكلم به اللسان.

(١) في (أ): «و».

فقل له: فكيف العلم<sup>(١)</sup>؟ وكيف هو وكيف العمل به؟

قال: أن تعمل بمحبة الله عَزَّوَجَلَّ وإن خالف هواك، وأن تعمل بطاعة الله وإن أسخطك، وأن تجتنب سخط الله وإن سرك، وأن تدع كراهيته وإن أعجبتك، وأن تؤثر ما هو له وإن ساءك، وأن ترغب فيما رغبت، وتزهد فيما زهدك، وأن تؤثر حين نصرك على الجهل، وأن تجعل القرآن إمامك ودليلك.

فقال له السائل: قد دلتني على العمل فعرفت، وعرفت، فأمنت، فلم يكن عليّ في ذلك كبير مؤنة، ولا عظيم مشقة، بل خفة وراحة مع ما استزدت به هداية وبصيرة<sup>(٢)</sup> ومعرفة، فلما صرت إلى العمل به لزمني في ذلك مؤنة شديدة، وثقل كبير، حتى حال بيني وبين كثير من لذيذ عيشي ونعيم دُنْيائي، وحملني على المكروه، وصرفني عن كثير من السُّرور، فصِف لي أمراً أقوى به على العمل بما آمنت به، فقد اشتدت عليّ مؤنته، وثقل عليّ احتمالُه؟

فقال: الأمور التي تقوى بها على العمل والأدب: الصَّبْرُ الذي هو تمامه وقوامه، فإنك إن صبرت انتفعت بعملك، وبلغت منه<sup>(٣)</sup> رضوان الله، وقويت فيه على العمل، وليس منزلة من منازل الخير إلا وللصبر فيه عمل وبه تمامه، فبالصبر قَوِيَ العبادُ على أداء الفرائض والحلال والحرام، وبالصبر قووا على اجتناب المحارم، وبالصبر بلغوا الغاية من كرامة الله وثوابه، فإذا صبرت على العمل انتفعت بالعلم والأدب، وإنك إن لم تصبر لم تعمل، وإن لم تعمل لم تنتفع بالإيمان بما علمت.

ومن لم ينتفع بالإيمان لم ينفعه العمل، ومن لم ينتفع بالعمل لم يُغن عنه

(١) في (أ): «العمل»، التصحيح من المدخل لابن الحاج.

(٢) في (أ): «خ: فيه».

(٣) في (أ): «وبصيرة».

العقل، فرأس أمر العباد<sup>(١)</sup> العقل، ودليلهم العلم، ونورهم الإيمان، وسائقهم العمل، ومقربهم الصبر، فمن لم تكن له قوة على الصَّبْرِ ضَعْفَ، ومن ضَعَفَ لم يعمل، ومن لم يعمل لم يتم له أمره ونوره، وبقي في ظُلْمَةٍ، ومن ذهب عنه النور عَمِيَ وحاد عن الطريق، ومن لم يُبصر فليتبّع الدليل؛ وهو القرآن.

ومن يتبع<sup>(٢)</sup> العلم -الذي هو النجاة من الهول العظيم-، وعمل له، وصبر عليه: صار إلى غاية العلم والصبر<sup>(٣)</sup>.

فقال له: قد بَصَّرْتَنِي من فضل الصبر قوَّتَه، وعَلَّمْتَنِي ما رَغَّبَنِي فيه، وقَوَّأَنِي على العمل به مع ثقله عَلَيَّ، فَصِفْ لِي أَمْراً أَزْدَادَ بالصبر بصراً<sup>(٤)</sup>، وفيه رغبة وعليه حرصاً؟

فقال: بصرك بالمنفعة، وطلبك لها، وهروبك من المعصية وبليتها، هو [الذي] يُرَغِّبُكَ فيها، وَيُبَيِّنُ لَكَ فضلها<sup>(٥)</sup>.

قال: قد شرحت لي أمر الصَّبْرِ وَفَضْلَهُ، فَرِّدْنِي بِهِ بِصْراً<sup>(٦)</sup>؟

فقال له: هذا الدليل، والإمام كتاب الله هو يبيِّن لك فضل الصبر، ويُرَغِّبُكَ في لزومه، فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَصَفَ أعمال العباد، وذكر ثوابهم، فلم يذكر ثواباً يعدل ثواب الصبر، فإنه ذَكَرَ أنهم يوفون أَجْرَهُمْ بغير حساب<sup>(٧)</sup>، فهو الدليل على فضل الصبر مع ما ذَكَرَ من ثوابه في مواضع من كتابه.

(١) في (أ) «العبادة»، وفي هامشها طرة: «خ: العباد».

(٢) في في المدخل لابن الحاج: «اتبع».

(٣) في المدخل لابن الحاج: «العلم والأدب».

(٤) في المدخل لابن الحاج: «تبصراً».

(٥) زيادة من المدخل لابن الحاج اقتضاها السياق.

(٦) في المدخل لابن الحاج: «تبصراً».

(٧) قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَوْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١١].

فقال له صاحبه: قد دلّني العلم وكتاب ربي على ما ذكرت من فضل الصبر وثوابه، فزادني بفضلَه بصراً<sup>(١)</sup>، وازددت عليه حرصاً، وفيه رغبة، وبه تمسكاً، وعليه اعتماداً، مع شدة منه عليّ وثقل، وصبري<sup>(٢)</sup> على خلاف ما أشتهي، وحمل نفسي على ما أكره؛ لطلبي فيه الأجر والفضل، وابتغاء العمل والأدب، فصِف لي أمراً يخفُّ به علي مؤنة الصبر، ويسهل علي لزومه، ويخفُّ علي احتماله، وتذل لي صعوبته؟

فقال له: أراك للخير مريداً، وللفضل طالباً، وعليه حرصاً، وتُحِبُّ أن تكون قد قويت على ما دلّك عليه العلم بنفاذ من الصبر، وقوة من العلم<sup>(٣)</sup>، وذلك من علامات السعادة، فإن العبد كلما ازداد علماً، وفيه تعمقاً<sup>(٤)</sup> ازداد للخير طلباً، وعليه حرصاً، فخفَّ عليه الثقل، وقرب عليه البعيد، ولها في الدنيا عما يزيد.

وإنما الثقل<sup>(٥)</sup> والتعسير تمثال<sup>(٦)</sup> الدنيا في قلب العبد، وهو مرصد إبليس وسلاحه، فإذا قطع عنه ذلك أنار قلبه<sup>(٧)</sup>، وخرجت الظلمة منه، فلم يكن للشيطان به قوة<sup>(٨)</sup>، ولا له فيه نصيب، ووصل من الأمر إلى ما يريد.

فقال له: زدني ما يسهل به علي ثقل احتمال الصبر ويخففه علي؟<sup>(٩)</sup>

قال له: فالأمر الذي يُسهِّل عليك ثقل احتمال الصبر، ويخففه عليك: الرضا عن الله تبارك وتعالى بكل ما صنع بك، واختاره لك، وساقه إليك.

(١) في المدخل لابن الحاج: «تبصراً».

(٢) في المدخل لابن الحاج: «وصبر».

(٣) في المدخل لابن الحاج: «من العمل».

(٤) في المدخل لابن الحاج: «تفهما».

(٥) في (أ): «الثقل».

(٦) في (أ): «تميل».

(٧) في المدخل لابن الحاج: «استنار القلب».

(٨) في المدخل لابن الحاج: «به احتمال قوة».

(٩) «فقال له: زدني ما يسهل ... ويخففه علي» زيادة يقتضيها السياق من كتاب المدخل لابن الحاج.



فقال له صاحبه: فأوضح لي كيف تهون عليّ مؤنة الصبر برضائي عن الله، ويخفّ عليّ احتمالاه؟

فقال له: أَلَسْتَ تعلم أنك إنما انتسبت إلى الرّضا وسمّيته صبراً؛ لأن الأمر الذي نزل بك مكروه عليك، وإنّ هواك ونفسك ينازعانك إلى غيره، فاحتجت إلى الصبر، فتدبّرت واعتبرت، فصرت من ذلك إلى موضع رضاه.

ثم تجاوز بك الأمر حتى تصير إلى موضع السّرور، حتى ترى أن لو صرف ذلك الأمر عنك لصرت منه إلى تقوية نفسك، وعلمت أن ما صرف عنك عقوبة لبعض ما أحدثت من ذنوبك، أو قصّرت فيه من شكر ما أنعم الله به عليك، فصرت منه إلى درجة رفيعة، ومنازل أهل الرضا، وإنما يوصل إلى ذلك بالمعرفة بالله، وبمعرفة بنظره إليك<sup>(١)</sup>، فتعلم أنه أنظر له من نفسه<sup>(٢)</sup>، فترضى بما رضى به، وترغب فيما رغبه، وتزهد فيما زهده، والزهد من الرضا.

قال: قد علمت فضل الرّضا ووضح لي أمره، فصّف لي كيف يهون عليّ أمر الصبر بالزهد؟ وكيف مأخذه؟ فقد أراني مع ما أصير إليه من الزهد مُقيماً على الصبر، وأزداد أيضاً مع زهدي في الدنيا أموراً أحتاج فيها إلى الصبر مخالفة لهوأي، ورفض شهواتي<sup>(٣)</sup>، وما تنازعني نفسي من لذاتي، فقد أراني ازددت ثِقلاً وضَجراً.

قال: أراك لا تقبل من الأمور إلا أصحها<sup>(٤)</sup>، ولا ترضى لنفسك إلا بواضحها، ولا تختار منها إلا أرشدها، وذلك من الأمور التي أرجو لك بها

(١) في (أ): «إليه».

(٢) في المدخل لابن الحاج: «فتعلم أنك لا نظر لك من نفسك».

(٣) في المدخل لابن الحاج: «ورفضاً لشهواتي».

(٤) في المدخل لابن الحاج: «أصلحها».

القوة، والنجاح لحاجتك، والظفر بطبقتك، وبلوغك أقصى الغاية من إرادتك، فافهم قولي، وتدبر نصحي، فإن الحجة في ذلك واضحة، والأمر فيه بين.

قال: ألت تعلم أن الدنيا كانت باقية في قلبك، وأن حبها غالب عليك، وأن سرورها فرح لك، وأن مكروهاها شديد عليك، فحملت نفسك على قطع ذلك مع حبك لها، وإيثارك لها، تكرها منك لطلب<sup>(١)</sup> الفضل من احتمال الصبر، وحملت نفسك على المكروه من أمر دنيائك، وصبرت عليها لشدته منه عليك؛ لأن مكروهاها عندك مكروه، ولأن سرورها عندك سرور، فتقل عليك الصوم لقطعك الشهوة عن نفسك من الأكل والشرب، وثقلت عليك الصلاة والاشتغال بها؛ لما تسره إليك نفسك من اللهو والحديث في الباطل.

وثقلت عليك الزكاة والصدقة؛ لما تحب أن تصرفه فيه من لذاتك.

وثقل عليك التواضع؛ لما ترى<sup>(٢)</sup> من تصغير شأنك، ودناءة منزلتك عند أهل الدنيا.

وثقل عليك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لكي لا يعاديك الناس أو ينقطع رجاؤك منهم، أو يُسمعونك ما تكره، فيدخل عليك التنغيص في سرورك.

وثقل عليك القنوع والرضا؛ لعظيم موقع الدنيا من قلبك، وحبك للإكثار منها، وحرصك عليها، وكراهيتك للموت ونعيم ما بعده مع أشياء كثيرة يطول وصفها.

وكل ذلك إنما صار شدته عليك لحب الدنيا، وإنما ثقل عليك الصبر وملته، وضيق الشيطان عليك المذاهب من أجل ذلك؛ لأن سلاحه الذي به يقوى وكيده الذي يصل به إلى أهل الدنيا الرغبة فيها وطلبها، فإذا أنت زهدت

(١) في المدخل لابن الحاج: «ونزلها منك مع طلبك».

(٢) «لما ترى» زيادة من كتاب المدخل لابن الحاج.

في الدنيا ورفضتها، ورغبتَ في الآخرة وطلبتها: سَهِّلْ عليك الأمر، فأثرتَ الآخرة وطلبتها ورغبتَ فيها، وأدبرتُ عنك الدنيا وثقلها، وتولت عنك هاربة ببلائها، وأتتكَ بمنافعها، وصرفتَ عنك شرورها برغم منها، وانقطع رجاء الشيطان، وصغر كيده، وولَّى وقلَّ سلاحه، فلا قوَّةَ له بك، ونجوتَ بعصمة الله وتوفيقه من الضيق والتعسير والهلكة، وصرتَ إلى النعمة والسرور والراحة، وخرج حبُّ الدنيا من قلبك، فلزمتَ الصيام وخفَّ عليك؛ لأنه لم تكن نفسك تنشرح إلى الأكل والشرب وغيرهما<sup>(١)</sup> من الشهوات.

ولزمتَ الصلاة واشتغلتَ بها؛ لأن نفسك لم تكن تنازعك إلى اللُّهو، أو خلوة إلى حديثٍ في باطل.

وخفَّتْ عليك الزكاة والصدقة؛ لأنك اعتددتَ ما قدمته أمامك، ولا تريد منه شيئاً يبقى خلفك.

وخفَّ عليك التواضع؛ لأن الإيَّاس قد خرج من قلبك.

وهان عليك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن الناس قد استوتوا عندك، فلم ترَ أحداً غير ربِّك، ولم تخف شيئاً غيره.

وخفَّ عليك القنوع؛ لأنك رضيت من الدنيا باليسير، ولم تُنازعك نفسك إلى غير البلاغ والكفاية.

وخفَّ عليك الجهاد؛ لأن الدنيا قد أخرجتَها من قلبك وحبَّ البقاء فيها، وأحبيت الموت؛ لما ترجو من النعيم والسرور، والحياة الدائمة التي أمامك.

فالزهد في الدنيا راحةٌ للقلب والبدن، وهو جماع للخير وتمامه، وليس

(١) «وغيرهما» زيادة من كتاب المدخل لابن الحاج.

شيء من أعمال البر إلا وله ضد من غيره، فما قصر بك عنه فإرفضه، وازهد فيه يَسَلِّمْ لك عملك، وَيَخِفَّ عليك ثقله.

فقال له صاحبه: أوضحتَ فبيّنتَ، وأرشدتَ فهديتَ، وكشفتَ فأريتَ، فصِفْ لي كيف الزهد ومأخذه والذي ينبغي لي العمل به، فقد استبان لي فضله، ووضح لي رشدَه؟

فقال له صاحبه: إن الزهد في الدنيا واجب عليك؛ وهو الورع، لا يجوز لك التقصير فيه، ولا الرّغبة عنه، وهو اجتناب ما حرّم الله عليك ونهاك عنه، فهذا الأمر لازم لك، لا عُذر لك في التقصير عن الزهد طلباً للفضل والقربة إلى ربك، ونفياً لكلّ أمر قَصَّر بك عنه من المسارعة في طاعته والمسابقة إلى رضوانه، فهذا ما ينبغي لك العمل به، وإدارة صلاح نفسك عليه.

فقال: أما ما حرّم الله عليّ، ونهاني عنه: فقد دلّني عليه العلم؛ لأنه ضار، ولا ينبغي لي المقام عليه، ولا العمل به، فزهدت فيه، ورفضته، فصِفْ لي الزهد الذي أرجو أن أنال به كرامة سيدي، وأن أبلغ من ذلك محبته، وأن أدفع به عني كيد الشيطان ومكره؟

فقال له: ذلك الزهد في فضولها، والرّضا من الدنيا بيسيرها، والأخذ منها بقدر البلاغ إلى غيرها، ورفض ما سوى ذلك من فضولها وأمورها، بإخراج الإيأس من قلبك، فلا تخفّ أحداً في الله، ولا تُريد حمد أحد من الناس، ويستوي الناس عندك فلا ترجو أحداً<sup>(١)</sup> غير الله، ولا تطلب فضله، وتنصح في الله في السر والعلانية، ولا تخفّ لوم أحد من الناس، ولا عذله، وتُحب في الله، وتبغض في الله، ولا تشغل قلبك بشيء غيره، وتلزم التواضع والتذلل

(١) «أحداً في الله... فلا ترجوا أحداً» مكرر في (أ).

لربك، وتخمل ذكرك، وتُغيب اسمك، ولا تريد بذلك تعظيم أحد من غير الله  
تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وتُحِبُّ الموتَ، وتكون ممثلاً له بين عينيك لرجاء ما بعده، وتزهد  
في الحياة مخافة الفتنة والبلية.

فهذا أصل الزهد، فإذا أنت وصلت إلى ذلك نِلْتَ شرف الآخرة، ونجوت  
بعون الله من بلية عاجلتك.

فقال له صاحبه: لقد ذكرت لي من أمر الزهد شيئاً ضاق به ذرعي، واشتدَّ له  
غَمِّي، واعتصر له قلبي، واستصعبَ به عليَّ أمري، وتفرَّقَ له رأبي، واشتدت  
عليَّ المؤنة فيه، وقد كان الصبر والاحتمال له أيسر عليَّ مؤنة منه، وأخفَّ  
عليَّ محملاً من الزهد، وخشيت أن لا أقوى على احتماله، ولا تطيق نفسي  
العمل بكماله، ولا تعزم علي القيام بتمامه، وأن تملَّه وترفضه، وترجع معه إلى  
غيره مما فيه هلاكها، وعطبها، وقد عرفتُ فضل الزهد، وعظيم قدره، فصفْ  
إلي أمراً أتقوى به على الزهد، ويخففه عليَّ؟

فقال له صاحبه: قد فهمتُ قولك، ولقد صَعُبَ عندك الذلول، واشتدَّ عندك  
اليسير، وثقل عليك الخفيف، وعمي عليك المنير، أجل؛ وما ألومك حيث  
اشتدَّ عليك من أمرك ما ذكرتُ حين لم تعلم الأمر الذي له في الدنيا زهدت،  
والذي به عليه قويت.

ولو علمته لهان عليك من أمرك الشديد، وخفَّ عليك الثقيل، وسهَّلَ  
عليك موارده، وسهل لك فيه المذاهب، ولخفَّتْ عليك فيه المؤنة، فتفهم  
قولي بعقل، وتدبره بحكم، وخذ فيه بقوة وجد.

واعلم أن العباد زهدوا في الدنيا، ودعاهم إلى الزهد فيها ورفضها خصالٌ  
شتى، بعضها أرفع وأعلى درجة من بعض، وكلها داعية إلى الزهد فيها:

فأول درجات الزهد: أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى خلق العباد في الدنيا، وجعل ما فيها زينةً لها، وزهدهم فيها، وخلق الآخرة ونعيمها، وندبهم إليها، ورغبهم فيها، وأعلمهم أنهم عن الدنيا مرتحلون، وأنهم إلى الآخرة صائرون، فرغب العباد في الباقي، وزهدهم في الفاني: فأثر الآخرة واطلبها، وازهد في الدنيا، وارفضها؛ كي لا ينتقص<sup>(١)</sup> من حظك في الآخرة بما نلت من نعيم دنياك.

وأما المنزلة الثانية من الزهد في الدنيا، فإن الله عَزَّجَلَّ خلق العباد في الدنيا، فأوجب الموتَ عليهم، وأعلمهم أنهم ميتون، وضرب لهم فيها أجلا، فلم يعلموا في أي الأوقات والساعات تأتيهم مَنِيَّتُهُمْ، فتحول بينهم وبين دنياهم، ونعيم عيشهم، ومفارقة أحبائهم، فلما استقرَّ الموتُ في قلوبهم أسهروا لذلك أعينهم، واشتغلوا بهمومهم عن أهاليهم وأولادهم، ودام حزنهم وبكاؤهم، وزهدوا في الدنيا، وأهلها ونعيمها، فصار الليل والنهار بمنزلة الضيفان، وكان المقوِّي لهم على الزهد في الدنيا ذكر الموت وقصر الأمل، فهذه الخصلة شريفة من خصال الزهد في الدنيا.

وأما الخصلة الثالثة في الزهد: تصديق العبد بربه فيما أخبرهم به من نعيم الآخرة، وما خَوْفُهُمْ من عقاب النار وعذابها، وما حذرهم من الدنيا، والاعتذار بها، فزهد فيها وأحبَّ بالموت مفارقتها، والتباعد والخروج منها إلى داره وقراره تبصرًا منه بالدنيا وحالها، فهذه الخصلة من خصال الزهد أشرف مما قبلها.

فقال له صاحبه: ما تركتَ لي إلى الدنيا والرُّكون إليها سبيلا، ولقد استبان لي قولك البرَّ والحق، ووضح لي من وصفك الصدق، وقويت -بحمد الله وتوفيقه- على الزهد فيها، ورفضها؛ فصِفْ لي بصفتك الشافية، والدواء النافع

(١) في (أ): «ينتقص».

لداء قلبي حتى تخبرني ما الأمر الذي يدلني على هذه الخصال، ويقويني عليها؟  
فقال: الأمر الذي يدل على هذه الخصال، ويقويك عليها، وينورها في قلبك هو اليقين الذي لا يخالطه شك، والتصديق بربك الذي لا يخالطه لبس، فإنه من صدق ربه أيقن، ومن أيقن أبصر، ومن أبصر زهد، والزهد في الدنيا شعبة من شعب اليقين، وأفضل اليقين التوكل.

قال: فصف لي اليقين لأعرفه؟

قال: أن تعلم أن الله وحده لا شريك له، وأنه الحق المبين، وأنه كما وصف نفسه في قدرته، وسلطانه، وخلقته، وأن وعده حق، وقوله صدق، ووعيده، وكتابه، ورسله حق، تقر بذلك في قلبك، وتتبع كتاب ربك؛ فهذا اليقين الذي لا يشك فيه.

قال: صف لي التوكل لأعرفه؟

فقال: التوكل هو العمل بطاعته، وتصديق اليقين دلالة، فمن أيقن وعلم أن الله خالق الأشياء، والمقتدر عليها، والمالك لها، والمنفرد بها: توكل عليه في جميع أموره، وقطع رجاءه عن سواه من خلقه، ولم يثق بأحد، ولم يتأنس إلا به، فانقطع إلى الله، وتوكل عليه في جميع حالاتك، فهذه صفة العمل والتوكل ومأخذه.

قال: ما الذي يدلني على الفكرة، ويقويني عليها، وليس كلما أردت الفكرة وصلت إليها؟

قال: أجل لا تصل إلى ما تريد من الفكرة مع الاشتغال بغيرها، فسبيل الوصول إلى الفكرة: الصيام، وترك الإكثار من الطعام، والشراب، واعتزال

الشهوات، ولزوم الصمت إلا من ذكر الله، والخير والخلوة في الاعتزال، ورفض الاشتغال في الفضول، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

تم الكتاب بحمد الله وتوفيقه<sup>(١)</sup> [٦٧].



(١) كذا في قيد الفراغ من (أ)، وفي (و): «كامل بحمد الله الجزء الثاني وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً، وبتاريخ عشية يوم السبت ثاني عشر رجب الأحب من عام ١٢٢٤ هـ، على يد عبد الله وأقل عبيده محمد بن أبي القاسم بن الغافقي الفاسي الدار، وكان كتبه بدكالة بالموضع المسمى بصور ابن الحاج، بزاوية الولي الصالح الصوفي الناجح سيدي عبد الرحمن بن رحال، كان الله لنا وله، وغفر لوالدينا ولوالديه ولجميع المسلمين، يتلوه إن شاء الله الجزء الثالث، والله المستعان/ ٤٩/».



## ملحق

[جزء في أخبار اليمن بن رزق برواية تلميذه يحيى بن عمر]<sup>(١)</sup>

قال أبو بكر محمد بن محمد بن اللباد: قال لي يحيى بن عمر: لم يكن مع يمن بن رزق إلا مصحف، وهذا الكتاب<sup>(٢)</sup>.

قال: وكان لا شيء عنده، فإذا أراد أن يشتري شيئاً أدخل يده تحت الحصير، فيخرج دراهم صحاحاً جيداً كباراً<sup>(٣)</sup>.

قال يحيى: وكان في بيته النهار كله يصلي، فإذا جاء وقت الفريضة صلاها في المسجد مع الناس في جماعة، وكان مضجعه بالليل حصيراً على التراب.

قال يحيى: قال لي خادم يمن بن رزق: كنت أجيئه فأسأله عما يحتاج، فيدخل يده تحت الحصير، فيخرج إلي الدراهم، فاشترى له حاجته، فامتحن<sup>(٤)</sup> يوماً لما قام يتهياً للصلاة إلى الحصير، ففتشت تحته فلم أجد تحته شيئاً، فجعلت غيره مكانه، ثم سألته النفقة، فرفع الحصير وأخرج دراهم فأعطاني<sup>(٥)</sup>.

قال: قرأت على أبي القاسم خلف بن محمد بن خلف الخولاني المكدور<sup>(٦)</sup> بقرطبة في مسجده في شهر المحرم سنة أربع وسبعين وثلاثمائة: حدثكم أبو بكر

(١) ورد في آخر النسخة (أ).

(٢) تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (١٩٨/٢).

(٣) تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (١٩٨/٢).

(٤) كذا في الأصل؛ ولعلها: «فانتحيت» أي مال إلى ناحية.

(٥) نقل هذا النص عنه ابن شق الليل في كتاب الدلالة على صحة الإجابات وإثبات الكرامات (ص: ١٤٨).

(٦) توفي عام ٣٧٤هـ، تنظر ترجمته في تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (١٦٢/١)، تاريخ الإسلام للذهبي (٤٠٠/٨).

محمد بن محمد بن اللباد، قال لي يحيى بن عمر: لم يكن مع يمن بن رزق إلا مصحف وهذا الكتاب، وكان لا شيء عنده، ولا في بيته شيء، وإذا أراد شيئاً أو يتصدق بشيء أدخل يده تحت الحصير، فيخرج دراهم صحاحا كباراً.

قال يحيى: وكان في بيته النهار كأنه يصلي، فإذا جاء وقت الفريضة صلاها في المسجد مع الناس في جماعة<sup>(١)</sup>.

قال لي محمد: قال لي يحيى بن عمر: قال لي يمن بن رزق: لما أن احتملت أو هممت أن أحتلم، رأيت في منامي كأنه قفل نحاس على قلبي، فنظرت إلى مفتاح ملقى بين يدي، فوق بقلبي أنه مفتاح ذلك القفل، ففتحت به ذلك القفل<sup>(٢)</sup>. وكان يمن ينام على حصير على الأرض.

قال يحيى بن عمر: فسمعت أبا بكر يمن بن رزق يقول عند الموت وهي آخر كلمة سمعتها منه: الحمد لله على فراق الدنيا<sup>(٣)</sup>.

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين،  
والحمد لله رب العالمين.



(١) تاريخ علماء الأندلس (٢/١٩٨).

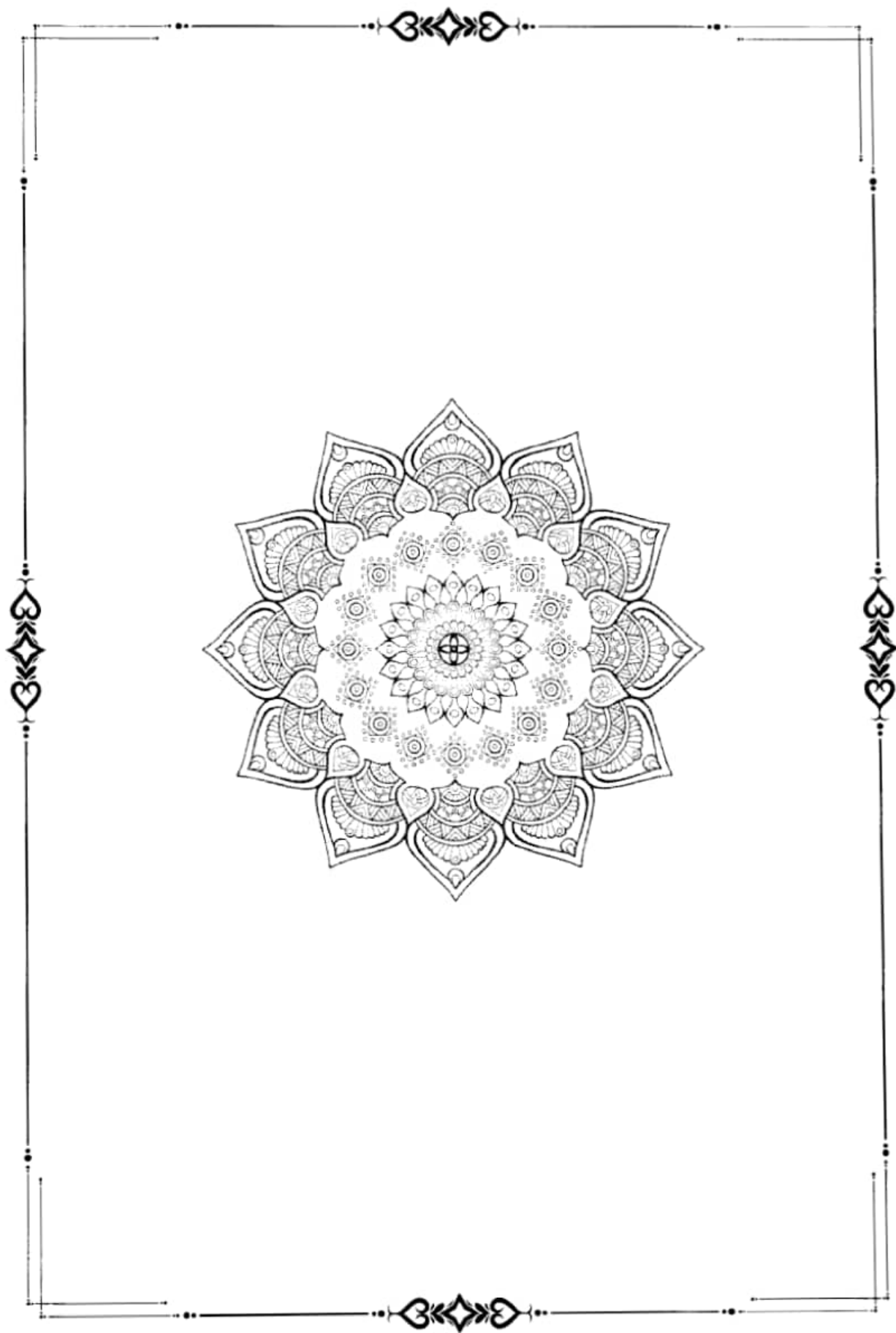
(٢) تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (٢/١٩٨).

(٣) تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (١/١٩٨).

## قسم الفهارس العامة

وفيه:

- فهرس الآيات
- فهرس الأحاديث والآثار
- فهرس الأعلام
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات



## فهرس الآيات

الآيات	رقمها	السورة	الصفحة
﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُ لَكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾	١٦٠	آل عمران	
﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾	٦	النساء	
﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ﴾	٤٨	الأنفال	
﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾	١٢٣	الأنعام	
﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكِرِينَ﴾	١١٤	هود	
﴿وَلَا تَعْدَنَّ عَيْنُكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْثَنَّهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾	١٢٩-١٣٠	طه	
﴿ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الْصَّابِرُونَ﴾	٨٠	القصص	
﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾	٣٥	الحج	
﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾	٢١	النحل	
﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾	١٢٨	النحل	
﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾	٤٢	الحجر	
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾	١٥	فاطر	
﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾	٢٨	فاطر	
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾	٣٤	محمد	
﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾	٣	الطلاق	



## فهرس الأحاديث والآثار

الصفحة

الأحاديث والآثار

«اخْذَرُوا فِتْنَةَ الْعَابِدِ الْجَاهِلِ، وَالْعَالَمِ الْفَاسِقِ، فَإِنْ فَتَنْتَهُمَا فِتْنَةٌ لِكُلِّ مَفْتُونٍ».

«ابن آدَامَ إِنَّ لَكَ سَرِيرَةً وَعَلَانِيَةً، فَسَرِيرَتُكَ أَوْلَى بِكَ مِنْ عَلَانِيَتِكَ».

«إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ».

«بَلْ أَرَدْتُ أَنْ يُقَالَ: فَلَانْ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ».

«طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ».

«لَقَدْ وَارَتْ الْأَرْضُ أَقْوَامًا لَوْ رَأَوْكُمْ لَقَالُوا: مَا يُؤْمِنُ هَؤُلَاءِ بِيَوْمِ الْحِسَابِ».

«لَسْتُ آمِنٌ عَلَى نَفْسِي الْفِتْنَةِ، وَأَنْ يُحَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْإِسْلَامِ».

«الْعُقُولُ مُعَادِنٌ لِلرَّائِينَ، وَالْعِلْمُ دَلَالَةٌ عَلَى أَعْمَالِ الطَّاعَةِ، وَالْمَعْرِفَةُ دَلَالَةٌ عَلَى آفَاتِ الْأَعْمَالِ، وَالْبَصَائِرُ دَلَالَةٌ عَلَى اخْتِبَارِ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ وَاخْتِبَارِ مَوَارِدِهَا وَتَصْرِيفِ مَصَادِرِهَا».

«قُلْ لِأَهْلِ مَحَبَّتِي يَشْتَغِلُونَ بِي، فَإِذَا عَلِمْتَ أَنَّ الْغَالِبَ عَلَى قُلُوبِهِمُ الْإِشْتَغَالُ فِي وَالْإِنْقِطَاعُ إِلَيَّ، كَانَ حَقِيقًا عَلَيَّ أَنْ أَرْفَعَ الْحُجُبَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، فَيَنْظُرُونَ إِلَيَّ بِأَبْصَارِ قُلُوبِهِمْ، فَهُمْ يَتَنَعَّمُونَ بِذِكْرِي، قَدْ أَغْنَاهُمْ عَنْ كُلِّ نَعِيمٍ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قَدْ مَلَأَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَأَسْمَاعَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ وَجَوَارِحَهُمْ مِنْ حُبِّهِ، فَأَذَّبُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْعُبُودِيَّةِ وَالدُّخُولِ فِي مَحَبَّتِهِ».

«كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنَ الْخَوَرِ بَعْدَ الْكُورِ».

«يَا دَاوُدَ إِنِّي قَدْ آلَيْتُ عَلَى نَفْسِي أَلَّا أَثِيبَ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي، إِلَّا عَبْدًا قَدْ عَرَفْتُ مِنْ طَلِبَتِهِ وَإِرَادَتِهِ، وَالْقَاءَ كَنَفِهِ بَيْنَ يَدَيَّ أَنَّهُ لَا غَنَى لَهُ عَنِّي، وَأَنَّهُ لَا يَطْمِئِنُّ إِلَى نَفْسِهِ بِنَظَرِهَا وَفِعَالِهَا، إِلَّا وَكَلَّتْهُ إِلَيْهَا أَخْفَ الْأَشْيَاءِ إِلَيَّ، فَإِنِّي أَنَا مَنَّتُ بِهَا عَلَيْكَ».

«يَا دَاوُدَ تَفَضَّلْ عَلَى عِبَادِي أَكْتُبِكَ مِنْ أَوْلِيَائِي وَأَحِبَّائِي، وَأَبَاهِي بِكَ حَمَلَةً عَرْشِي، وَأَرْفَعَ الْحُجُبَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، فَتَنْظُرَ إِلَيَّ بِبَصَرِ قَلْبِكَ، لَا أَحْجُبُكَ عَنْ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مُسْتَمْسِكًا بِطَاعَتِي مِنْ بَلَاءٍ أَوْ مَصِيبَةٍ أَوْ رِخَاءٍ أَوْ شِدَّةٍ مِمَّا أَحَبَّ أَوْ أَكْرَهَ، كَانَ قَلْبُهُ بِذَلِكَ لِمَوْضِعِ الثِّقَةِ بِرَبِّهِ وَحُسْنِ الظَّنِّ بِهِ».

## فهرس الأعلام

الصفحة

الأعلام

الحسن البصري

عبد الله بن مسعود (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)

مطرف بن عبد الله بن الشخير

يحيى بن عمر بن يوسف

يمن بن رزق (المؤلف)



### فهرس المصادر والمراجع

- إحياء علوم الدين؛ لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، نشر: دار المعرفة، بيروت.
- أخبار الفقهاء والمحدثين؛ لمحمد بن حارث الخشني (ت: ٣٦١هـ)، تحقيق: ماريا لويس آبيلا ولويس مولينا، طبع المجلس الأعلى للأبحاث العلمية: معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، عام: ١٩٩٢م.
- أخلاق العلماء؛ لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الأجرى البغدادي (ت: ٣٦٠هـ)، راجعه وعلق عليه: فضيلة الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري، نشر: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية.
- آداب النفوس؛ لأبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي (ت: ٢٤٣هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، نشر: دار الجيل، بيروت، لبنان.
- الاستدراك على الاستيعاب؛ للحافظ أبي إسحاق إبراهيم الطليطلي المعروف بابن الأمين (ت: ٥٤٤هـ)، رواية أبي القاسم ابن بشكوال (ت: ٥٧٨هـ) مع زياداته، تحقيق: الأستاذة حنان الحداد، من منشورات وزارة الأوقاف المغربية، طبع: مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط: ١/ ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- أعلام مالقة؛ لأبي عبد الله بن عسكر وأبي بكر بن خميس، تحقيق: الدكتور عبد الله المرابط الترغي، دار الغرب الإسلامي ودار الأمان، ط: ١/ ١٤٢٠هـ.
- الأنساب؛ لأبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي (ت: ٥٦٢هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط: ٢/ ١٩٨٠م.
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد؛ لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت: ١٢٢٤هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، نشر: الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، ط: ١٤١٩هـ.
- بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس؛ لأبي جعفر أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي (ت: ٥٩٩هـ)، دار الكاتب العربي، القاهرة، ط: ١٩٦٧م.



- بهجة النفوس وتحليلتها بمعرفة مالها وما عليها: شرح مختصر صحيح البخاري، للإمام أبي محمد عبد الله بن أبي جمرة الأندلسي (ت: ٦٩٩هـ)، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط: ٣.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام؛ لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط: ١ / ٢٠٠٣ م.
- تاريخ دمشق؛ لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت: ٥٧١هـ) تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥هـ.
- تاريخ علماء الأندلس؛ لأبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي، المعروف بابن الفرضي (ت: ٤٠٣هـ)، غني بنشره؛ وصححه؛ ووقف على طبعه: السيد عزت العطار الحسيني، نشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: ٢ / ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م.
- تاريخ ابن يونس المصري؛ لأبي سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصديقي، (ت: ٣٤٧هـ)، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١ / ١٤٢١هـ.
- تخريج أحاديث إحياء علوم الدين؛ العراقي (٧٢٥ - ٨٠٦هـ)، ابن السبكي (ت: ٧٧١هـ)، الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، دار العاصمة للنشر، الرياض، ط: ١ / ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧ م.
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك؛ لأبي الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت: ٥٤٤هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين: جزء ١: ابن تاووت الطنجي، ١٩٦٥ م، جزء ٢، ٣، ٤: عبد القادر الصحراوي، ١٩٦٦ - ١٩٦٧ م، جزء ٥: محمد بن شريفة، جزء ٦، ٧، ٨: سعيد أحمد أعراب ١٩٨١ - ١٩٨٣ م، مطبعة فضالة، المحمدية المغرب، ط: ١.
- التكملة لكتاب الصلة؛ للحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، المعروف بابن الأبار (ت: ٦٥٨هـ)، تحقيق: عبد السلام الهراس، طبعة دار الكتب العلمية، عام: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م.
- تكملة المعاجم العربية؛ لرينهارت بيتر آن دوزي (ت: ١٣٠٠هـ)، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد سليم النعيمي وجمال الخياط، نشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط: ١ / من ١٩٧٩ - ٢٠٠٠ م.

- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع؛ لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: الدكتور محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض.

- جامع البيان في تأويل القرآن؛ لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، نشر: مؤسسة الرسالة، ط: ١/ ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

- جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس؛ لأبي عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحميري (ت: ٤٨٨هـ)، نشر: الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، ط: ١٩٦٦م.

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء؛ لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، السعادة، بجوار محافظة مصر، ط: ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

- الدلالة على صحة الإجابات وإثبات الكرامات ونقض ما نسب إلى مكّي من الأبيات؛ للحافظ الفقيه أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد السلام الأنصاري الطليطلي الأندلسي المعروف بابن شق الليل (ت: ٤٥٥هـ)، تحقيق: الدكتور أنيس سالم والدكتور محمد علوان، دار فارس للنشر والتوزيع، الكويت، ط: ١/ ٢٠٢٣م.

- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب؛ لبرهان الدين أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن محمد المشهور بابن فرحون (ت: ٧٩٩هـ)، تحقيق محمد الأحمد أبو النور، مكتبة دار التراث القاهرة، ط: ٢/ ٢٠٠٥م.

- الذريعة إلى مكارم الشريعة؛ لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار النشر: دار السلام، القاهرة، ط: ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة؛ لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي (ت: ٧٠٣هـ)، تحقيق: إحسان عباس، طبعة دار الثقافة.

- الروض المعطار في خبر الأقطار؛ لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، طبع على مطابع دار السراج، ط: ٢/ ١٩٨٠ م.
- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساکهم وسیر من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم؛ لأبي بكر عبد الله بن محمد المالكي (تبع ٤٥٣ هـ)، تحقيق: بشير البكوش، راجعه: محمد العروسي المطوي، نشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط: ٢/ ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
- الزهد؛ لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١ هـ)، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: ١/ ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- الزهد الكبير؛ لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جَرْدِي الخراساني، البيهقي (ت: ٤٥٨ هـ)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، نشر: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط: ٣/ ١٩٩٦ م.
- الزهد والرقائق؛ لأبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرؤزي (ت: ١٨١ هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- سنن الترمذي؛ لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت: ٢٧٩ هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، نشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: ١/ ١٩٩٦ م.
- سنن النسائي الكبرى؛ لأحمد بن شعيب لأبي عبد الرحمن النسائي، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١/ ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
- سير أعلام النبلاء؛ لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط: ٢/ ١٤٠٥ هـ.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية؛ لمحمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف (ت: ١٣٦٠ هـ)، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط: ١/ ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

- شعب الإيمان؛ لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُشْرَوُجُرْدِي الخراساني، البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، تحت إشراف: مختار أحمد الندوي، نشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط: ١/ ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- صحيح البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه؛ لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، نشر: دار طوق النجاة، ط: ١/ ١٤٢٢هـ.
- صحيح مسلم؛ لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة، ط: ١/ ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار؛ لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري (ت: ٩٠٠هـ)، اعتنى به: إ. لافي بروفنصال، نشر: دار الجيل، بيروت، لبنان، ط: ٢/ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس؛ لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت: ٥٧٨هـ)، تحقيق: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، ط: ٢/ ١٣٧٤هـ.
- الصمت وآداب اللسان؛ لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ)، تحقيق: أبو إسحاق الحويني، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط: ١/ ١٤١٠هـ.
- الضعفاء الكبير؛ لأبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي (ت: ٣٢٢هـ)، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، نشر: دار المكتبة العلمية، بيروت، ط: ١/ ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- طبقات المفسرين؛ للحافظ محمد بن علي بن أحمد، الداوودي المالكي (ت: ٩٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١/ ١٤٠٣هـ.

- العزلة والانفراد؛ لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ)، تحقيق: مسعد عبد الحميد محمد السعدني، نشر: مكتبة الفرقان، القاهرة.
- كتاب العين؛ لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، تحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، نشر: دار ومكتبة الهلال.
- الغنية: فهرست شيوخ القاضي عياض؛ لأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي (ت: ٥٤٤هـ)، تحقيق: ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، ط: ١/ ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- فهرسة ابن خير الإشبيلي (ت: ٥٧٥هـ)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد، نشر: دار الغرب الاسلامي، تونس، ط: ١/ ٢٠٠٩م.
- فهم القرآن ومعانيه؛ لأبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي، (ت: ٢٤٣هـ)، تحقيق: حسين القوتلي، نشر: دار الكندي، دار الفكر، بيروت، ط: ٢/ ١٣٩٨هـ.
- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد؛ لأبي طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي، المكي (ت: ٣٨٦هـ)، تحقيق: الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: ٢/ ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- اللباب في تهذيب الأنساب؛ لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزري، المعروف بابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ)، دار صادر، بيروت.
- لسان العرب؛ لأبي الفضل محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الإفريقي، المعروف بابن منظور (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط: ٣/ ١٤١٤هـ.
- لسان الميزان؛ لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط: ١/ ٢٠٠٢م.
- الكنى والأسماء؛ لأبي بشر محمد بن أحمد بن حماد بن سعيد بن مسلم الأنصاري الدولاوي الرازي (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط: ١/ ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

- المحبة لله سبحانه؛ لأبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد الختلي السمرائي (ت نحو ١٧٠)، تحقيق: الدكتور عادل بن عبد الشكور الزرقي، نشر: دار الحضارة للنشر والتوزيع - الرياض، ط: ١ / ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- مختار الصحاح؛ لأبي عبد الله زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦ هـ)، إخراج دائرة المعجم في مكتبة لبنان، مكتبة لبنان، ط: ١٩٨٨ م.
- المدخل المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبه على بعض البدع والعوائد؛ لأبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي، الشهير بابن الحاج (ت: ٧٣٧ هـ)، دار التراث، ط: بدون طبعة وبدون تاريخ.
- المسالك والممالك؛ لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت: ٤٨٧ هـ)، نشر: دار الغرب الإسلامي، ط: ١٩٩٢ م.
- المسند، للإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١ هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، وآخرون، نشر مؤسسة الرسالة، ط: ١ / ١٤٢١ هـ.
- معجم أصحاب القاضي أبي علي الصديقي؛ لابن الأبار: محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت: ٦٥٨ هـ)، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط: ١ / ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- معجم البلدان؛ لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦ هـ)، دار صادر، بيروت، ط: ٢ / ١٩٩٥ م.
- المعجم الوسيط؛ من إعداد: إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار، بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، نشر دار الدعوة.
- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان؛ لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسدي الدباغ (ت: ٦٩٦ هـ)، أكمله: أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي (ت: ٨٣٩ هـ)، تحقيق: إبراهيم شيوخ، نشر مكتبة الخانجي بمصر، ط: ١ / ١٩٦٨ هـ.
- مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة؛ لأبي العباس بن العريف (ت: ٥٣٦ هـ)، جمعه أبو بكر عتيق بن مؤمن (ت: ٥٤٨ هـ)، تحقيق: الدكتورة عصمت عبد اللطيف دندش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط: ١ / ١٩٩٣ م.

- مقاييس اللغة؛ لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر: ١٩٧٩م.
- مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار؛ للحسين بن نصر ابن خميس (ت: ٥٥٢هـ)، تحقيق: محمد أديب الحادر، نشر مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، ط: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- الوافي بالوفيات؛ لصلاح الدين أبي الصفا خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي (ت: ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ط: ١ / ٢٠٠٠م.



## فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوعات
٥	تقديم
١١	الفصل الأول: التعريف بالمؤلف والكتاب
١٢	المبحث الأول: التعريف بالمؤلف
١٢	المطلب الأول: اسمه ونسبه
١٤	المطلب الثاني: تلاميذه
١٦	المطلب الثالث: تأثر يحيى بن عمر بشيخه يمن بن رزق
١٧	المطلب الرابع: مكانة الإمام ابن رزق وفضله وأحواله
١٩	المطلب الخامس: مؤلفاته
٢٣	المبحث الثاني: التعريف بكتاب الزهد
٢٣	المطلب الأول: نسبة الكتاب إلى صاحبه
٢٧	المطلب الثاني: عناية العلماء بكتاب الزهد
٣٠	المطلب الثالث: قيمة كتاب الزهد
٣١	المطلب الرابع: مصادر المؤلف في كتاب الزهد
٣٥	المطلب الخامس: النسخ المعتمدة في التحقيق
٣٦	المطلب السادس: صور من النسخ المعتمدة
٤١	الفصل الثاني: النص المحقق
٤٣	ذكر الأشياء التي منها تتفرع فنون الخير
٤٦	باب في اليقين والفتنة
٤٧	باب في الإحسان



الصفحة	الموضوعات
٤٨	باب في الاستدراج
٥٠	باب في اليقين
٥٣	باب تفسير العُجْب
٥٥	باب التواضع
٥٧	باب تصحيح النية واجتهاد العمل
٥٩	باب في الرياء
٦١	باب معرفة العمل
٦٢	باب علامة الخير
٦٣	باب المعرفة بالله عزَّوجلَّ
٦٤	باب صفة المغمُومين
٦٦	باب معرفة المرء عيوب نفسه
٦٨	باب خاطر السوء في القلب
٧٠	باب في الحزن والخوف
٧٣	باب في الحزن
٧٥	باب في الغيبة والنميمة
٧٧	باب في التزين
٨٢	باب في الطمع
٨٥	باب في الصدق
٨٧	باب الخلوة
٩٦	باب في العقل

الصفحة	الموضوعات
٩٩	باب في الشُّكر
١٠٠	باب في العقل والهوى
١٠٢	باب في الرِّياء
١٠٣	باب الرِّفق في العمل
١١٢	باب في الإخلاص
١٢٣	باب العجب
١٣٠	باب الخاطر
١٣٧	باب الزُّهد في الدنيا
١٣٩	باب ما جاء في درجاتِ أولياءِ الله تعالى
١٤٨	أول ذكر الدرجات السبع
١٥٢	[خاتمة في منازل الزُّهاد]
١٦٥	[جزء في أخبارِ يمن بن رزق برواية تلميذه يحيى بن عمر]
١٦٧	الفهارس العامة
١٦٩	فهرس الآيات
١٧٠	فهرس الأحاديث والآثار
١٧١	فهرس الأعلام
١٧٢	فهرس المصادر والمراجع
١٨٠	فهرس الموضوعات

